شبكات الهجرة والاندماج الثقافي
دراسة ميدانية على عينة من أجيال المهاجرين النوبيين بمحافظة السويس

د. جبرالله عباس حسن سلمان
أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة السويس
د. محمود صلاح عبدالحفيظ محمد
مدرس علم الاجتماع السياسي قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة السويس

المستخلص:

تهدف الدراسة الراهنة إلى الكشف عن دور الشبكات الاجتماعية في تحقيق مستوى ما من الاندماج الثقافي لنوبيي السويس. وقد اعتمدت الدراسة على الأسلوب الأنثروبولوجي، والوصفي، والتاريخي، والمقارن، باستخدام عدة طرق (المسح الاجتماعي بالعينة، والمقابلات الفردية، وجماعات المناقشة البؤرية، والملاحظة)، وصممت الدراسة أداة الاستبيان التي تم تطبيقها على عينة عمدية بلغت (١٩٠ مفردة) شملت الأجيال النوبية الثلاثة، في حين طُبق دليل المقابلة المتعمقة على عينة عمدية بلغت (أثنين وعشرين حالة) إضافة إلى خمس جماعات بؤرية شملت أيضًا الأجيال النوبية الثلاثة. وقد كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج من أهمها:

١-ترتبط كل شبكات المهاجرين النوبيين بالسويس بمسألة الهوية، حيث تعمل كل شبكة منها على تحديد علاقة نوبيي السويس بهويتهم، وتأتي اللغة في مقدمة عناصر ومكونات تلك الهوية.

٢-ثبت من الدراسة الميدانية أن حالات الجيل الأول، والتي كانت أكثر اندماجًا في الحياة الاجتماعية والثقافية في السويس، كانت أكثر قدرة على التفاوض على بعض ملامح الهوية مثل اللغة، وممارسة بعض العادات والتقاليد.

٣-اتفقت أجيال نوبيي السويس على الارتباط بشبكات التحديث، والإقامة في المدينة وعدم الرغبة في مغادرتها، إلا أنهم في نفس الوقت قد فقدوا العديد من ملامح جذورهم وهويتهم التاريخية، وعلى رأس تلك الملامح كانت اللغة النوبية الكنزية.

٤-لعبت شبكة المؤسسات والروابط النوبية دورًا هامًا في تقنين الاعتراف بالهوية ونقله من المستوى الشخصي وغير الرسمي إلى المستوى المؤسسي.

٥-لعبت شبكة التحديث دورًا هامًا في بناء رأس المال المكاني، وتعزيز قوته، حيث استفادت حالات الجيلين الأول والثاني من الفرص الاجتماعية والاقتصادية والتي كانت بمثابة حراك

اجتماعي كبير مقارنة بالإقامة في مجتمع الجذور، بينما كان ضَعف الفرص الاجتماعية والاقتصادية لحالات الجيل الثالث عاملًا في تدهور رأس المال المكاني لدى ذلك الجيل.

الكلمات المفتاحية: شبكات الهجرة– الاندماج الثقافي

Migration networks and cultural integration: an Empirical study on a sample of Nubian Immigrants Generations in the Suez Governorate

Abstract:

The current study aims to reveal the role of social networks in achieving mode of cultural integration for the Nubians of Suez. The study relied on the anthropological, descriptive, historical, and comparative approaches, using several methodological technics (sample social survey, individual interviews, focus group discussion, and observation). The study designed a questionnaire tool that was applied to a deliberate sample of (190 individuals) that included the three Nubian generations. While the in-depth interview guide was applied to a purposive sample of (twenty- two cases) in addition to five focus groups that also included the three Nubian generations. The study revealed a set of results, the most important of which are:

1-All Nubian immigrant networks in Suez are linked to the issue of identity, as each network works to define the relationship of the Nubians in Suez to their identity, and language comes at the forefront of the elements and components of that identity.

2-It was proven from the field study that the cases of the first generation, which were more integrated into the social and cultural life in Suez, were more able to negotiate some features of identity such as language and practice some customs and traditions.

3-The generations of Nubians in Suez agreed to be linked to modernization networks, to live in the urban city and to want to stay there, but at the same time they lost many features of their roots and historical identity, and at the forefront of those features was the Nubian Kenzi dialect.

4-The network of Nubian institutions and associations played an important role in codifying identity recognition and transferring it from the personal and informal level to the institutional level.

5-The modernization network played an important role in building spatial capital and enhancing its strength, as the cases of the first and second generations benefited from social and economic opportunities, which amounted to great social mobility compared to just in the original community, while the weakness of social and economic opportunities for the cases of the third generation was a factor in the deterioration of spatial capital of that generation.

Keywords: **migration networks – cultural integration**

المبحث الأول: الصياغة التصورية للدراسة

أولًا: موضوع الدراسة

كان لنوبيي السويس تاريخ اجتماعي وثقافي ذو مغزى وأهمية تاريخية كبيرة، فهم ليسوا مجرد سكان إحدى المناطق الحدودية أو الجنوبية، بل هم مكون حضاري وثقافي رئيسي في التاريخ

الاجتماعي والثقافي المصري منذ أقدم العصور التاريخية، فهم حراس الجنوب وصانعو الحضارة والخير والجمال، وكل ما يتعلق بالرقي الثقافي والفني والقيمي، ومن ثَم لم يكن يسيرًا عليهم مغادرة مواطنهم الأصلية إلى مكان آخر بشكل دائم، إلا أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية قد حالت بينهم وبين المعيشة والعمل في مواطنهم ومجتمعات جذورهم، حتى قرر العديد منهم الهجرة على مراحل، فهي هجرة ذكورية في البداية من أجل تحسين المعاش، ومن ثَم العودة إلى جذورهم وأبنائهم.

ثم تطورت إلى هجرة ذكورية مستقرة خاصة مع تنامي وتميز الفرص الاجتماعية والاقتصادية التي حصلوا عليها في السويس في الربع الأول من القرن العشرين، ومع انتصاف القرن العشرين كانت هناك جالية نوبية متكاملة من الأسر التي قررت الاستقرار في السويس، ومغادرة النوبة بشكل نهائي.

إلا أنهم في الواقع لم يغادروا النوبة تمامًا فإن كانوا غادروها ماديًا، فإنهم ظلوا يعيشون فيها روحيًا، حيث تمسكوا بتراث آبائهم وأجدادهم، وظلوا محافظين على علاقاتهم بقراهم في النوبة القديمة، حيث التواصل والزيارات والانتقالات التي لا تنقطع مع كل فرصة اجتماعية أو مناسبة، إلا أن نوبيي السويس على اختلاف أجيالهم كونوا قد ثقافة مميزة لهم، يمكن القول أنها تختلف عن ثقافة النوبي الذي لا زال يقيم في النوبة، فالهوية عند نوبيي السويس لم تعد تتحدد بالجذور النوبية فحسب، بل صارت تمتد إلى الاعتزاز والانتماء إلى المكان الذي هاجروا إليه، ومن ثم نجح نوبيي السويس في تأمين وتحقيق مكانة اجتماعية وثقافية مميزة لهم.

حيث تم الاعتراف بهم بجانب المجتمع المحلي بأنهم مكون أساسي من مكوناته، عرف عنه الطابع المسالم والهادي، ومن ثَم نجح نوبيي السويس في أن يكونوا نوبيون معتزون بجذورهم، وكذلك مواطنون منتمون إلى مدينتهم في السويس، فهم "ولاد البلد" كما يحبون أن يسموا أنفسهم، حيث جمعوا بين هويتين أساسيتين، هوية الانتماء إلى الجذور، وهوية الانتماء إلى المكان الذي يعيشون فيه. واتجه نوبيي السويس بعد اتخاذهم قرار الهجرة والاستقرار في السويس، إلى بناء العديد من الشبكات الاجتماعية، حيث نجحوا في تحويل العلاقات الاجتماعية إلى شبكات كثيفة تخدم مصالحهم وتزيد من تطورهم الاجتماعي، فتجربة التحديث على سبيل المثال أثرت بشكل واضح على استقرارهم واتخاذهم قرار الهجرة من النوبة القديمة، حيث لعب التحديث دورًا حاسمًا في حسم قرار الهجرة ومغادرة مجتمعات الجذور، حيث عملت هجرتهم إلى السويس على تكوين شبكاتهم الاجتماعية التي عملت على استقرارهم واندماجهم في المجتمع المحلي، تلك الشبكات

التي كان لها دورًا رئيسيًا في اتخاذ قرار الهجرة والإقامة بالسويس، وتجسدت تلك الشبكات في عملية التحديث الذي أدى إلى جلب وتدفق المهاجرين، بناء على مكانتهم في الشبكات العائلية والقروية، علاوة على شبكة المصاهرة والنسب، إضافة إلى الشبكات التي تكونت لدى نوبيي السويس خلال إقامتهم بالمدينة، حيث أثبتوا مرونة كبيرة في خلق مزيد من الشبكات الاجتماعية وبما يلائم احتياجاتهم والتحديات التي يقابلونها، حيث كان لتلك الشبكات الدور الرئيسي في استقرارهم ومشاركتهم في المجتمع المحلي.

وتحفل النظرية السوسيولوجية برؤى عديدة تعيد الاعتبار إلى الولاءات التقليدية، بل وتطالب بالاعتراف بها، وعدم إنكارها، وتمثل هذه الدعاوى والنظريات إطارًا واقعيًا مستوعبًا للتركيب الاجتماعي في المجتمع الإنساني، «فمن بين مائة وثلاثة وثمانين دولة مسجلة في الأمم المتحدة عام ١٩٩٣ فإن عددًا صغيرًا جدًا من الدول كانت متجانسة إثنيًا، فالتعددية الإثنية هي السمة الغالبة في المجتمعات الإنسانية»(Williams, 1994: 49). وثمة عددًا كبيرًا من الدراسات أظهرت أن الانخراط الشبكي يلعب دورًا هامًا في تحقيق الاندماج الثقافي وبمراجعة الأدبيات حول الانخراط الشبكي والاندماج الثقافي تأكد ذلك؛ حيث تكشف دراسة (عبدالباري، ٢٠١١) التي تناولت الحالة الإثنية في بعض الدول العربية –على سبيل المثال ليبيا– لاحظت «تغليب الثقافة العربية وطمس الملامح الثقافية الأمازيغية عبر وسائل التهميش الاجتماعي والثقافي، مما أدى إلى توجيه الأمازيغ نحو التكتل الجغرافي والانغلاق على الذات للحفاظ على هويتهم من خلال الحفاظ على لغتهم الأمازيغية وتعليمها لأبنائهم كوسيلة للاتصال اليومي».

وتؤكد دراسة (Blumenstock,2016) على أن قرار الهجرة يعتمد على مدى ارتباط المهاجر بمجتمع النشأة (الجذور) والوجهة التي ينوي الهجرة إليها. وقد ركزت هذه الدراسة على فهم كيف يمكن للعلاقات القوية (شبكات المهاجرين) مع مجتمع الهجرة أن تسهل عملية وقرار الهجرة من خلال توفير الوصول إلى المعلومات حول الفرص المتاحة والدعم المادي للوافدين الجدد. وتثبت دراسة(Barglowski , 2018) أن الوضع الطبقي للمهاجرين في المجتمع الجديد يكون حاسمًا في تحديد صور رأس المال الثقافي الذي يهيئ عملية الاندماج الثقافي وليس الجذور الاثنية، خاصةً عندما يكون المهاجرون ينتمون إلى الطبقة الوسطى ذات الدخل المرتفع والعمل المهني المتميز، حيث تشير تلك الدراسة أنه وفقًا للوضع الطبقي، يمتلك بعض الآباء المهاجرين موارد تسمح لهم بالتميز في النظام المدرسي أو التعليمي بشكل عام في بلد الهجرة بشكل أفضل من الآباء الآخرين حتى ولو كانوا ينتمون إلى نفس الجماعة الإثنية.

وتؤكد دراسة (Erel, 2010) أنه بجانب الوضع الطبقي الذي يشكل صور رأس المال الثقافي للمهاجرين وأجيالهم، فإن لجماعة المهاجرين دورًا هامًا تقوم به في إنتاج التحكم في رأس المال الثقافي وذلك عندما تشارك بنشاط واضح في بناء المؤسسات للتحقق من صحة رأسمالها الثقافي داخل مجتمع الهجرة.

كما أكدت دراسة(Prinz and et.al, 2019) على أنه إذا كانت الهجرة تعمل على تغيير الأوضاع الاقتصادية والطبقية للمهاجرين، فإنه وفي نفس الوقت فإن هجرة الأشخاص من ذوي الخلفيات الثقافية المتباينة، قد يكون لها أيضًا تأثيرات كبيرة على الهوية الثقافية للمهاجرين وكذلك مجتمع الهجرة. حيث أكدت هذه الدراسة على أن التعليم الالزامي هو السياسة الأكثر أهمية في عمليه الاندماج الثقافي، فالتعليم الالزامي يوفر فرصة كبيرة لأبناء المهاجرين، في عملية اندماجهم وتطبيعهم الاجتماعي والثقافي، وهو الأمر الذي ستحاول الدراسة الراهنة رصده بصورة دقيقة من خلال دراسة الأجيال النوبية في علاقتها بالتعليم الالزامي، وصور الحفاظ على اللغة النوبية باعتبارها أهم ملامح الثقافة الأصلية التي حملها المهاجرون معهم، وأن تأثير الهجرة على الهوية الثقافية للمهاجرين يعتمد بشكل أساسي على مدى التباعد أو التباين بين ثقافة المهاجرين، ومجتمع الهجرة، فإذا كانت تلك التباينات الثقافية كبيرة وواضحة، فإن المهاجرين يفضلون السكن في مناطق متقاربة، بينما يسعون إلى الاندماج والسكن في أي مكان في حال كانت تلك التباينات محدودة. وهو الأمر الذي سوف تحاول الدراسة الراهنة رصده في صور الاندماج الثقافي للجماعة النوبية في السويس، من خلال رصد علاقات التقارب المكاني واختيارات السكن في الحي الذي تقيم به الجماعات النوبية المهاجرة إلى السويس. كما أن الفرص الاقتصادية توفر دافعًا للمهاجرين من ذوي الثقافات المتباينة مع مجتمع الهجرة، إلى اتخاذ قرارات الاندماج الثقافي، والتخلص من حالة العزلة الثقافية مع المجتمع الجديد، وهو الأمر الذي ستحاول الدراسة الراهنة الكشف عنه من خلال تتبع موقف المهاجرين النوبيين من الفرص الاقتصادية التي جذبتهم إلى الهجرة والإقامة في السويس من حيث قدرتهم على تشكيل عملية اندماجهم الثقافي وارتباطهم بالمجتمع المحلي. وتشير دراسة (Bhugra, and et.al, 2019) إلى أن الاندماج الثقافي يتم عبر رأس المال الثقافي للمهاجرين، والذي يكون أكثر قابلية للتغير والتحول في مجتمع الهجرة عنه في مجتمع الجذور.

كما تشير دراسة (Olekanma, and Elezi, 2021) إلى أن الاندماج الثقافي هو عملية تسعى إلى ضمان التعايش بين الثقافات التي تظهر داخل بنية التنظيمات الاقتصادية. وأن

الاندماج الثقافي يقلل من الأسباب التي تؤدي إلى الصراعات التنظيمية، وهو الأمر الذي يدعم الترابط التنظيمي، والتبادل المعرفي الفعال، ويعمل على تعزيز الابداع التنظيمي، والقدرة التنافسية. ويرتبط ذلك بمهمة الدراسة الراهنة من حيث الكشف عن صور الاندماج الثقافي لنوبيي السويس في المؤسسات الاقتصادية التي يرتبطون بالعمل فيها، حيث يمثل العمل المصدر الأساسي لاستمرار تدفق المهاجرين، وفرص بقائهم واندماجهم في المجتمع المحلي. وتؤكد دراسة (Bhugra, and et.al,2021) أن المهاجرون يميلون بعد الهجرة إلى التكيف مع الأعراف والثقافة المادية الجديدة، الأمر الذي من الممكن أن يصل إلى مستوى التطبيع الثقافي.

وتثبت دراسة (Sha, 2021) أن شبكات الهجرة في المجتمع الجديد تتغير باستمرار، ولاسيما في الحالات التي يمر فيها المهاجرون بتجربة الحراك الاجتماعي والجغرافي. كما أن هناك ثمة تباينات واضحة بين الذكور والإناث فيما يخص الدافعية والمخاطر التي تحكم سلوك المهاجرين في ممارساتهم الاجتماعية والثقافية. حيث بينت تلك الدراسة أن ظهور شبكات الهجرة الخاصة بالعديد من الجماعات الإثنية المهاجرة يرتبط بالفرز على أساس النوع، حيث يكون للنوع (ذكور/إناث) موقعًا هامًا داخل تلك الشبكات وفرص الهجرة. كما توصلت دراسة (حليم، ٢٠٢٢) إلى أن الاندماج بين النساء المهاجرات والمغربيات تعوقها الصورة المصنوعة حول الذات من كلا الطرفين. فالاختلافات الثقافية (العادات– الدين– اللغة) أدت إلى خلق صراعات خفية وظاهرة، حيث عجزت النساء المهاجرات من أفريقيا (جنوب الصحراء) عن تحقيق اندماج سوسيوثقافي في المجتمع المضيف. بالرغم من أن النساء المهاجرات يرغبن في معرفه الكثير عن المجتمع الذي يستقرن فيه، غير أنهن يواجهن مشكلة اللغة التي يصعب تعلمها في غياب تواصل مستمر مع المغربيات.

وأثبتت دراسة (المصيلحي، ٢٠٢٢) أن البُعد المكاني يشكل أحد خصائص الاستبعاد الاجتماعي للنوبيين، وخاصة مع نقص الموارد والخدمات التي تعمل على تفاقم الاستبعاد الاجتماعي، ومن ثم تحول بين مشاركة الطفل النوبي وبين الاندماج الثقافي. وبينت دراسة (عبد الكريم، ٢٠٢٢) أن هناك مجموعة من العوامل التي تحقق الاندماج الثقافي للأفراد منها نوع النشاط أو المهنة حيث تشابه المهنة وهى الزارعة أدى إلى قوة الترابط والتعاون بين الأفراد وتشابه العديد من العادات والتقاليد. كما أدت قلة الكثافة السكانية في المنطقة إلى التأثير بشكل كبير في قوة ومتانة العلاقات حيث وجود مصاهرة وزواج بين أفراد من عائلة نوبية بأخري من محافظة البحيرة بالرغم من صعوبة ارتباط الأفراد النوبيين بقبائل ليس منهم.

وإذا كانت مشكلة الدراسة الراهنة تتبلور في الكشف عن مكانة ودور الشبكات الاجتماعية في تحقيق الاندماج الثقافي لنوبيي السويس، لذا نحتاج إلى رصد وتحديد العلاقة بين الانخراط الشبكي والاندماج الثقافي، فعلم الاجتماع السياسي والأنثروبولوجيا الثقافية يتناولان مسألة العلاقة بين القوة الشبكية ومستوى الاندماج الثقافي معتبرين أن النشاط الشبكي دليلًا على الحاجة إلى مزيد من الاندماج ومراكمة رصيد من القوى الاجتماعية، وبالتالي المكانة الملائمة والاعتراف في المجتمع المحلي، فليس هناك جماعة اجتماعية يزيد حجمها وقوتها الاقتصادية من دون أن يرتبط ذلك بمعاني وقيم الاندماج الثقافي، وبناء على ما سبق تَحدد الهدف العام للدراسة الراهنة في الكشف عن دور الشبكات الاجتماعية في تحقيق الاندماج الثقافي لنوبيي السويس. وانطلاقًا من الهدف العام للدراسة يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي: ما دور الانخراط في الشبكات الاجتماعية للمهاجرين في تحقيق الاندماج الثقافي لنوبيي السويس؟

ثانيًا: أهمية الدراسة:

١-الأهمية النظرية:

تستمد الدراسة الراهنة أهميتها من محاولة الباحثان تسليط الضوء على نظرية شبكات الهجرة، من حيث التعريف بإسهاماتها النظرية خاصة فيما يتعلق بمشكلات الاندماج الثقافي الخاصة بالجماعات المهاجرة، وبيان كيف عالجت الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية دور شبكات الهجرة في التعاطي مع مسألة الاندماج الثقافي لدى أجيال المهاجرين، حيث يعتبر البحث في شبكات الهجرة من المسائل النظرية الجديدة التي لم تلقى اهتمامًا كبيرًا خاصة من المدارس السوسيولوجية والأنثروبولوجية العربية.

٢-الأهمية التطبيقية:

أ-تأتي أهمية الدراسة الراهنة من تناولها لشبكات الهجرة الخاصة بالجماعات النوبية، من حيث بيان خصائص وسمات تلك الشبكات، وأهميتها فيما يخص هجرة الجماعات الاثنية من المجتمعات التقليدية داخل المجتمع المصري، حيث يعمل الباحثان —من خلال هذه الدراسة- على مخاطبة صانع القرار والقائمين عليه، على تصميم السياسات الثقافية من أجل الاهتمام بالثقافات التقليدية والإثنية للمصريين، خاصة تلك الوافدة من جنوب مصر عبر شبكات الهجرة التي استقرت في العديد من محافظات الوجه البحري.

ب-تعمل هذه الدراسة على فهم التباين الجيلي في عملية نقل رأس المال الثقافي للجماعة النوبية داخل السويس، والدور الذي تلعبه الأجيال النوبية في الحفاظ على رأس المال الثقافي النوبي، مما يساعد في تعميق فهم وتحليل عملية الاندماج الثقافي لنوبيي السويس، وذلك من خلال تحليل مؤشرات ذلك الاندماج في علاقاتها بشبكات الهجرة التي تكرست عبر الأجيال النوبية.

ثالثًا: أهداف الدراسة وتساؤلاتها

يتمثل الهدف العام للدراسة الراهنة في محاولة الكشف عن دور شبكات الهجرة في تحقيق الاندماج الثقافي لنوبيي السويس. ولتحقيق هذا الهدف حاول الباحثان الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١-كيف عمل التاريخ الاجتماعي لنوبيي السويس –على اختلاف أجيالهم- على اندماجهم الثقافي؟

٢-ما دور شبكات الهجرة في عملية التفاوض على الهوية بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي؟

٣-ما دور شبكات الهجرة في عملية الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس؟

٤-ما دور شبكات الهجرة في تدعيم رأس المال المكاني لنوبيي السويس؟

٥- ما دور شبكات الهجرة في تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي ؟

٦-هل توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متغيري الدراسة (شبكات الهجرة والاندماج الثقافي) والخصائص الاجتماعية لعينة الدراسة؟

المبحث الثاني: مفاهيم الدراسة وتعريفاتها الإجرائية وأطرها النظرية

١-شبكات الهجرة

تعد الشبكات الاجتماعية للمهاجرين أحد الموضوعات الرئيسية التي يدرسها ويهتم بها معظمهم الباحثين في استكشاف كيفية هجرة الناس ومن يسهل عمليات الهجرة (Sha, 2021: 2). فالشبكات الاجتماعية في تحليلها الأوليّ هي روابط مسبقة ذات كثافة عالية، حيث «نظام من العلاقات الاجتماعية المستقرة نسبياً؛ ذلك النظام القائم بين الأفراد من أعضاء المجتمع؛ والذي يتجسد في التفاعل والتواصل الاجتماعي، وبما يؤثر في السلوك الاجتماعي» (Ning Li , et al,2021:1)

حيث تؤسس الشبكات «سياقات داخل الجماعة، على هيئة تنظيمات رسمية، أو أبنية مؤسسية يستخدمها نشطاء الشبكة، وبالتالي فإن تلك الأبنية والتنظيمات تؤثر فيما يفعله الناس، وكيف يشعرون حيال ارتباطهم معًا »(Pescosolido,2007:209) . ويمكن القول أن ثمة صورتين

أو نمطين للعناصر التي تحدد الشبكة الاجتماعية؛ «الأولى هي العُقد، أو الفاعلين المرتبطين معًا، والثانية هي الروابط أو التفاعلات والاتصالات التي تجري بين العُقد أو الفاعلين » (Ognyanova,2022: 17)، ويمكن القول أن العُقد تتمثل في الفاعلين – المرتبطين معاً – داخل الشبكة؛ « مثل الأعضاء، والجماعات، والتنظيمات، أما الروابط فتتمثل في علاقات التبادل التي تجري بين الفاعلين؛ مثل روابط الصداقة، وروابط طلب النصيحة، والتعاون، وكذا روابط النقاش السياسي، وغيرها مما يمكن أن يعمل في النهاية على تكوين وتوليد شبكة تجمع أناس محددون »(Ognyanova,2022: 25).

ولقد ميز "جورج زيمل" بين نمطين من أنماط الشبكات الاجتماعية؛ الأول – نمط ما قبل الحديث، والثاني النمط الحديث، وأشار العديد من الباحثين، أمثال "بلاو وجدنز" إلى أن «شبكات ما قبل الحديثة كانت مغلقة على أعضائها، حيث عملت على تكريس معاني الطمأنينة بينهم، في الوقت الذي تم فيه خلق حالة من عدم التسامح مع الغرباء» (Pescosolido,2007:209)، ووفقاً لـ"بلاو" فإن التحول إلى النموذج الحديث من الشبكات الاجتماعية، دفع الأفراد إلى أن «يشاركوا بشكل متزايد في أعداد كبيرة من الشبكات الاجتماعية، ولكن من دون أن يؤسس ذلك لبناء روابط قوية مشتركة بينهم» (Freeman,2004:5)، وهو الأمر الذي يرتبط بالدراسة الراهنة، فالشبكات الاجتماعية – محل الدراسة– جمعت بين التقليد والحداثة، ففي ذات الوقت الذي حرصت فيه الشبكات الاجتماعية التقليدية على أن تحافظ على ملامح هويتها الثقافية، فإنها قد عملت على بناء وتقديم شبكات حديثة تابعة وموازية لها، بحيث تعبر عن مصالحها.

واستناداً إلى مراجعة الأدبيات الرئيسية، فإن الشبكات الاجتماعية للمهاجرين تعتبر صورة من صور رأس المال الاجتماعي، والذي يشكل البنية التحتية الاجتماعية للهجرة، فشبكات المهاجرين برغم من أنها قد تبدو معقدة فإنها في نفس الوقت ذات طابع ديناميكي، وتتغير في الزمان والمكان استجابة للتحولات الداخلية والخارجية.

وقد عرّف "ماسي وآخرون" شبكات الهجرة بأنها «مجموعات من الروابط الاجتماعية التي تربط المهاجرين، والمهاجرين السابقين، وغير المهاجرين في مناطقهم الأصلية ومناطق هجرتهم من خلال روابط القرابة والصداقة والأصل المجتمعي المشترك. ويمكن القول أن نظرية شبكة المهاجرين تركز على دور الشبكات الاجتماعية في التيسير والاستدامة (تدفقات الهجرة) وتوفر نظرية شبكة المهاجرين أداة مهمة لشرح الشبكات الفعلية والنمطية للهجرة ذات البُعد الجغرافي، وتربط عادة

أماكن معينة ومناطق معينة ببعضها البعض (مجتمعي النوبة والسويس) ويجب فهم عملية صنع قرار الهجرة بشكل كامل دون النظر إلى الجوانب الاجتماعية الدافعة للهجرة –الظروف المعيشية في مجتمع الجذور ليست الدافع الوحيد لاختيار مكان محدد للهجرة إليه– فبمجرد أن يبدأ المهاجرون في العثور على فرص لمنازل جديدة، وبنية تحتية اجتماعية الأمر الذي يتيح المزيد من تدفقات الهجرة، ومع نمو العلاقات بين المجتمعات المرسلة والمستقبلة، تظهر الشبكات الاجتماعية إلى حيز الوجود والتي تلعب أدوارًا مهمة في خفض تكاليف ومخاطر الحركة المهاجرة، الأمر الذي يشجع بشكل متزايد على جذب المهاجرين الذين لا زالوا في المجتمع الأصلي»–3 :Sha, 2021) (5. «وتساعد الشبكات الاجتماعية الأفراد على أداء الإجراءات التي لا يمكن القيام بها بشكل فردي، والتي ستكون أكثر صعوبة بدون مساعدة، أو لن تكون مفيدة إذا قاموا بها بمفردهم» (Maness,2017:4).

ويبدأ مدخل تحليل الشبكة الاجتماعية من «دراسة العلاقة بين الأفراد، وكذلك تحليل التفاعل والتأثير بين الشبكات الاجتماعية والأعضاء المنضمون لها، وهذا يختلف عن المدخل البحثي التقليدي الذي كان يهتم أساسًا بصفات وخبرات الأفراد» (Rockenbauch and polrak,2017:2). ومما سبق يتبين لنا أن شبكات الهجرة هي أبنية اجتماعية يشيدها المهاجرون، ويحرصون على استمراريتها عبر أجيالهم التالية فهي البديل الاجتماعي عن المجتمع التقليدي الذي نزحوا منه، حيث كانت عوامل مثل القرابة والجيرة والانتماء للمكان والتجانس الاثني من العناصر الاجتماعية التي وفرت حماية وترابطًا بينهم في مجتمعات الجذور، الأمر الذي فرض عليهم ضرورة بناء شبكات مؤسسية موازية في مجتمع الهجرة، بحيث تكون شبكات حديثة وقادرة على الاستمرار والتواصل مع المجتمع المحلي ومؤسسات الدولة، وكانت دراسات سابقة عديدة قد أكدت على أهمية ودور شبكات الهجرة في تحديد الاندماج الثقافي لهم رغم صور الاختلاف والتباين ومن ثم عملت الدراسة على تحديد شبكات الهجرة لنوبيي السويس عبر اختلاف أجيالهم تلك الشبكات التي تحددت إجرائيا في:

أ– شبكة التحديث: وهي الشبكة التي تتكون تاريخيًا عبر تطبيع أجيال المهاجرين في مؤسسات التعليم الحديث والعمل المستقر في المدينة وما يترتب عليه من مكانة اجتماعية ووظيفية وتمايز اقتصادي وطبقي وما يترتب على ذلك من علاقات اجتماعية وسياسية.

ب–الشبكة العائلية والقروية وشبكة المصاهرة والنسب: هي تلك الشبكة التي تزيد من قوة الجماعة المهاجرة، بل وأنها الأكثر بقاءً واستمرارًا خاصة عندما تجلب مهاجرين أو مهاجرات من مجتمع الجذور حتى بعد أن تتوقف شبكات المهاجرين عن جلب المهاجرين من مجتمع الجذور.

ج–شبكه الروابط والمؤسسات النوبية (جمعية الاتحاد النوبية– النادي النوبي الرياضي): وهي التي تمثل جماعة المهاجرين وتعمل على مأسسة روابطهم ومصالحهم بل وتمثيلهم أمام المجتمع المحلي ومؤسسات الدولة.

د–شبكة المعارف والأصدقاء: وتتمثل في العلاقات والروابط الاجتماعية مع جماعه الرفاق والأصدقاء والزملاء من داخل المجتمع المحلي، والذين يمثلون مصدرًا للثقة وسرعة حل المشكلات والتواصل الاجتماعي من خارج الشبكات التقليدية التي ينتمي لها أجيال المهاجرين.

٢–الاندماج الثقافي:

يعرف الاندماج الثقافي بأنه «العملية التي يتبنى فيها الأشخاص من ذوي ثقافة ما، بعض المعايير والممارسات من جوهر ثقافة أخرى، مع الحفاظ على ثقافتهم الخاصة في نفس الوقت. فبدلًا من الاختيار بين فقدان ثقافتهم الخاصة التي وفدوا بها، أو الاحتفاظ بثقافتهم الخاصة ورفض ثقافة المجتمع الجديد، فإنهم يقومون بدمج الاثنين معًا، حيث يجلبون أجزاء من مكونات ثقافتهم إلى مجتمعاتهم التي هاجروا إليها في شكل طعام، أو لغة، أو موسيقى، أو فنون، أو مواقف، أو تقاليد. كما أنهم يتبنون أجزاء من ثقافتهم الجديدة ويتكيفون مع العادات المحلية وطرق التفاعل» (Kessler, 2023). ويشير مفهوم التطبيع الثقافي بأنه «عملية تغيير اجتماعي ونفسي وثقافي تنبع من الموازنة بين ثقافتين والتكيف مع الثقافة السائدة في المجتمع. والتطبيع هو عملية يتبنى فيها الفرد ويكتسب ويتكيف مع بيئة ثقافية جديدة نتيجة وضعه في ثقافة جديدة، أو عندما يتم جلب ثقافة أخرى لشخص ما. حيث يحاول الأفراد المنتمون إلى ثقافة مختلفة دمج أنفسهم في الثقافة الجديدة الأكثر انتشارًا من خلال المشاركة في جوانب الثقافة الأكثر انتشارًا، مثل تقاليدهم، ولكنهم لا يزالون متمسكين بقيمهم وتقاليدهم الثقافية الأصلية. ويمكن رؤية آثار التطبيع على مستويات متعددة لدى كل من أصحاب الثقافة السائدة وأولئك الذين يندمجون في الثقافة، الأمر الذي يشير إلى أن التطبيع يقود إلى الاندماج الثقافي، حيث يعد التطبيع الثقافي أحد صور الاندماج الثقافي، وذلك وفقًا للتراث النظري المنشور حول هذه القضية أي أن الاندماج الثقافي يعتبر عملية ثقافية تهدف إلى التكيف مع البيئة الاجتماعية، وفي نفس الوقت الحفاظ على التراث وثقافة الجذور لذا فإنها عملية تاريخية تستغرق عدة أجيال حتى تصل إلى مرحلة راسخة وناجحة» (Jacob,2020). ولاينفصل مفهوم الاندماج الثقافي مع المجتمع المحلي عن الارتباط بالهوية الثقافية الحضارية خاصة الهوية المكانية لمجتمع الجذور، ومن ثم المشاركة

في المجتمع المحلي وتبني ثقافته عبر تمثيل الهوية الثقافية الأصلية من خلال التعبير عن التنوع والتعدد الثقافي من أجل تعزيز الاندماج الثقافي. وإذا كانت الثقافة تُعرف بأنها «الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والعادات وأية قدرات وعادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع»(Jiansha Lu and Solvang,2012). فإن الاندماج الثقافي يقوم على التخصيب المتبادل، والقدرة المتميزة على الجمع بين ثقافتين في آن واحد، وهي عملية معقدة تحتاج إلى مجهود كبير، من حيث الدافع والفرص التي تجعل جماعة ما تجمع بين ثقافتين معًا، وبما يعزز فرص الإزدواجية الثقافية، وبما لها من آثار اجتماعية عميقة الأثر، والتي قد يكون لها بعض النتائج الإيجابية أو السلبية، إلا أنه بشكل عام فإن عملية الاندماج الثقافي تعكس قدرة الجماعة المهاجرة على التكيف والتعايش والنجاح في مجتمع الهجرة خاصة عندما يرتبط ذلك الاندماج بالقدرة على تحقيق صور عالية من التجانس مع مجتمع الهجرة الجديد، في نفس الوقت الذي يعتزون ويحافظون على ثقافتهم الأصلية. وفي ضوء المعطيات النظرية والميدانية السابقة قرر الباحثان صياغة التعريف الإجرائي للاندماج الثقافي لنوبيي السويس في ضوء المؤشرات التالية:

أ- التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي

ب- الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس

ج- الاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس

د- تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي

المبحث الثالث: الدراسة الميدانية: عرض وتحليل النتائج

أولًا: الإجراءات المنهجية للدراسة:

١-أساليب الدراسة:

أ-الأسلوب الأنثروبولوجي: والذي حرص الباحثان من خلاله الاعتماد على الطرائق والأساليب الكيفية في وصف شبكات المهاجرين، وقوفًا على طبيعة تلك الشبكات داخل مجتمع الدراسة ودورها في الاندماج الثقافي لنوبيي السويس.

ب-الأسلوب التاريخي: واهتم الباحثان باستخدام الأسلوب التاريخي من خلال بحث وتقصي التاريخ الاجتماعي لكل حالة من حالات الدراسة، وفهم المشاركة السياسية في المراحل التاريخية المختلفة لكل حالة، وكذلك الحصول على روايات تاريخية لاتزال حالات الدراسة تحتفظ بها وتنقلها للأجيال التالية، حيث كان مهمًا للباحِثَين أن يصلا إلى التحليل التاريخي الخاص بهجرة الجماعة النوبية إلى السويس وبما يشكل تاريخًا جمعيًا مشتركًا يجب جمعه وحفظه.

ج–الأسلوب الوصفي: وكان الأسلوب الوصفي مدخلًا للباحِثَين ، حيث قدم لهما ضرورة الربط بين المكان وخصائصه واستجابات حالات الدراسة، حيث حرص الباحثان على زيارة الروابط التنظيمية التي تجمع شمل نوبيي السويس، والتعرف على طبيعة المكان والجمهور الذي يتردد عليه، واهتم الباحثان بوصف طريقة التفاعل الاجتماعي داخل تلك الروابط، وخصائص الحاضرين لتلك الروابط وطريقة تفاعلهم معًا واستجابتهم للباحِثَين والمعاني التي تكمن خلف سلوكياتهم، وكان أسلوب الرد على التساؤلات والمشاركة في المقابلات من الملاحظات الوصفية التي اهتم الباحثان برصدها، وفهم التباين فيها وفقا لكل جيل من الأجيال الثلاثة.

د– الأسلوب المقارن: عملت الدراسة الراهنة على دراسة ثلاثة أجيال مختلفة من نوبيي السويس والمقارنة بينهما، وكان لتلك المقارنة أثرًا كبيرًا في طبيعة النتائج التي خرجت بها الدراسة، ولتحقيق مزيد من العمق حرصت الدراسة على عقد مقارنة جيلية لحالات محدودة، فلم يكن الغرض هو المسح الاجتماعي لكل أجيال النوبيين في السويس، بل كان الغرض الوقوف على الحالات الثرية التي تستطيع أن تضيف شيئًا جديدًا إلى الدراسة.

٢– طرق الدراسة: اعتمدت الدراسة الراهنة على عدة طرق منهجية وهي:(المسح الاجتماعي–جماعات المناقشة البؤرية–المقابلات الفردية–والملاحظة). وقد تم استخدام طريقة جماعة المناقشة البؤرية لتخدم الأداة الرئيسية للبحث المتمثلة في المقابلة المتعمقة لعينات متباينة من أجيال النوبيين المقيمين في السويس، وتمت عمليات المقابلة بالجمع بين الطرق المختلفة، حيث تمت المقابلة الفردية مع الجيل الأول في حين كان من الملائم إجراء المقابلة مع جماعة المناقشة البؤرية في جيلي الوسط والشباب، أما طريقة الملاحظة فقد ساعدت الباحثان على التمكن من تحديد طبيعة وبنية التساؤلات التي قاما بطرحها في كل مقابلة وكذلك الأفكار والمتغيرات الخاصة بطبيعة شبكات المهاجرين واندماجهم الثقافي.

٣– مجالات الدراسة:

أ–مجتمع الدراسة: مجتمع الدراسة هو جميع المفردات التي تنطبق عليها الدراسة، وفي هذه الدراسة، هو جميع الأجيال النوبية المقيمة في محافظة السويس بدءًا من الجيل الأول الذي وُلد في النوبة القديمة ثم هاجر إلي السويس وأقام فيها إقامة دائمة مرورًا بالجيلين الثاني والثالث اللذان وُلدا وأقاما إقامة دائمة في محافظة السويس.

ب–عينة الدراسة: اتساقًا مع الهدف العام للدراسة، اعتمدت الدراسة الراهنة على العينة العمدية(غير الاحتمالية) في الحصول على مفردات العينة، لذا تم اختيار عينة عمدية من النوبيين المقيمين إقامة دائمة في محافظة السويس (مجتمع الدراسة)، وقد تم تطبيق استمارة الاستبيان على العدد المتاح من العينة للباحثين، والذي بلغ (١٩٠) مفردة موزعة على ثلاثة أجيال كالآتي:

جدول رقم (١) يوضح حجم العينة المسحوبة من مجتمع الدراسة			
الأجيال	ذكور	اناث	اجمالي العينة
الأول	١١	٦	١٧
الثاني	٥٧	٥٥	١١٢
الثالث	٢٠	٤١	٦١
م	٨٨	١٠٢	١٩٠

وقد تمثلت عينة الدراسة بالخصائص الاجتماعية الآتية:

جدول رقم (٢) يوضح توزيع مفردات عينة الدراسة المطبق عليها استمارة الاستبيان وفقًا للخصائص الاجتماعية				
م	الخصائص	الفئة	التكرار	النسبة %
١	الحالة الجيلية	الجيل الثالث من ١٦ إلى أقل من ٣٥ سنة	٦١	%٣٢,١
		الجيل الثاني من ٣٦ إلى أقل من ٦٠ سنة	١١٢	%٥٨,٩
		الجيل الأول من ٦١ سنة فأكثر	١٧	%٩
٢	الحالة التعليمية	بدون مؤهل	٨	%٤,٢
		مؤهل متوسط	١٠٠	%٥٢,٦
		مؤهل جامعي	٨٢	%٤٣,٢
٣	الحالة الاجتماعية	أعزب	٤٥	٢٣,٧
		متزوج	١١٨	%٦٢,١
		مطلق	١٠	%٥,٣
		أرمل	١٧	%٨,٩
٤	الحالة المهنية	يعمل	٩٩	%٥٢,١
		لا يعمل	٩١	%٤٧,٩
٥	النوع	ذكور	٨٨	%٤٦,٣
		إناث	١٠٢	%٥٣,٧

المصدر: من إعداد الدراسة بالاعتماد على نتائج التحليل الإحصائي.

وحيث كانت العينة تمثل ثلاثة أجيال، قام الباحثان باختيار عينة عمدية لتطبيق دليل المقابلة المتعمقة بقصد التعمق في تفاصيل بعض البيانات التي تم جمعها. ومن ثم تم اختيار أثنين وعشرون حالة من الأجيال الثلاث للجماعة النوبية بالسويس، وتم اختيار خمس حالات من الجيل الأول، وعشر حالات من الجيل الثاني، وسبع حالات من الجيل الثالث، وتم مقابلتهم كل حالة على حدة، كما تضمنت عينة الدراسة –أيضًا– خمس مجموعات تم مقابلتهم في إطار الجماعة البؤرية للنقاش، بحيث يمثلون الأجيال النوبية الثلاث، وقد تمثلت عينة الدراسة بالخصائص الاجتماعية الآتية:

جدول رقم (٣) يوضح توزيع مفردات عينة الدراسة المطبق عليها دليل المقابلة وفقًا للخصائص الاجتماعية(*)

رقم الحالة	العمر الجيلي	النوع	الحالة الزواجية	المستوى التعليمي	العمل	القرية
١	٥٧	أنثى	متزوج	جامعي	يعمل	أبوهور
٢	٦٧	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	أبوهور
٣	٧٤	أنثى	متزوج	بدون	لا يعمل	مرواو
٤	٦٥	أنثى	متزوج	فوق جامعي	يعمل	مرواو
٥	٥١	ذكر	متزوج	متوسط	يعمل	أبوهور
٦	٥٠	أنثى	أعزب	جامعي	يعمل	أبوهور
٧	٥٢	ذكر	متزوج	فوق المتوسط	يعمل	أبوهور
٨	٥٥	أنثى	متزوجة	متوسط	يعمل	أبوهور
٩	٢٩	ذكر	أعزب	جامعي	يعمل	أبوهور
١٠	٦٤	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	مرواو
١١	٥٢	ذكر	متزوج	فوق متوسط	يعمل	ماريا
١٢	٥٧	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	دهميت
١٣	٦٤	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	مرواو
١٤	٣٥	أنثى	متزوج	جامعي	لا يعمل	أبوهور
١٥	٢٥	ذكر	أعزب	جامعي	لا يعمل	أبوهور
١٦	٥١	أنثى	أرملة	فوق المتوسط	يعمل	مرواو
١٧	٢٤	أنثى	عزباء	جامعي	لا يعمل	أبوهور
١٨	٣٨	أنثى	متزوجة	متوسط	لا تعمل	أبوهور
١٩	٣٧	أنثى	متزوجة	فوق جامعي	تعمل	أبوهور
٢٠	٢٣	أنثى	عزباء	جامعي	لا تعمل	مرواو

٢١	٢٥	أنثى	متزوجة	جامعي	لا تعمل	ماريا
٢٢	٣١	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	أبوهور

المصدر: من إعداد الدراسة بالاعتماد على نتائج التحليل الإحصائي.

جدول رقم (٤) يوضح الخصائص الاجتماعية لجماعات المناقشة المركزة

المجموعة البؤرية الأولى / رقم الحالة	العمر الجيلي	النوع	الحالة الزواجية	المستوى التعليمي	العمل	القرية
أ	٥٩	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	مرواو
ب	٦٥	ذكر	أعزب	متوسط	يعمل	مرواو
ج	٧٠	ذكر	متزوج	متوسط	يعمل	مرواو
د	٤٩	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	مرواو

المجموعة البؤرية الثانية / رقم الحالة	العمر الجيلي	النوع	الحالة الزواجية	المستوى التعليمي	العمل	القرية
أ	٦٥	انثي	متزوج	جامعي	يعمل	دابود
ب	٤٧	انثي	متزوج	متوسط	يعمل	مرواو
ج	٦٩	ذكر	متزوج	متوسط	يعمل	ماريا

المجموعة البؤرية الثالثة / رقم الحالة	العمر الجيلي	النوع	الحالة الزواجية	المستوى التعليمي	العمل	القرية
أ	٧٠	انثي	أرملة	بدون	لا يعمل	مرواو
ب	٢٣	انثي	أعزب	جامعي	يعمل	مرواو
ج	٥٠	ذكر	متزوج	متوسط	يعمل	أبوهور

المجموعة البؤرية الرابعة / رقم الحالة	العمر الجيلي	النوع	الحالة الزواجية	المستوى التعليمي	العمل	القرية
أ	٤٦	انثي	متزوج	متوسط	لا يعمل	أبوهو
ب	٣٥	انثي	متزوج	جامعي	يعمل	أبوهو
ج	٣٠	ذكر	متزوج	جامعي	يعمل	أبوهور

المجموعة البؤرية الخامسة / رقم الحالة	العمر الجيلي	النوع	الحالة الزواجية	المستوى التعليمي	العمل	القرية
أ	٤٤	انثي	متزوج	متوسط	لا يعمل	مرواو
ب	٤٧	انثي	متزوج	متوسط	لا يعمل	مرواو

ج	٥٧	أنثى	متزوج	متوسط	يعمل	مرواو

ج–النطاق الزمني: استغرق إجراء الدراسة الراهنة ستة أشهر تقريبًا، مرت خلالها بمجموعة من المراحل ابتداءً بمرحلة الإعداد وصياغة الإطار النظري، والتحضير للعمل الميداني، مرورًا بتصميم أداة الدراسة، ومرحلة جمع البيانات الميدانية، التي استغرقت (ستة أشهر) بدءًا من شهر أكتوبر ٢٠٢٢ إلى شهر مارس ٢٠٢٣. وصولًا لمرحلة تحليل البيانات، وكتابة التقرير النهائي للدراسة.

٤–أدوات جمع البيانات: حرصًا من الباحثان على تغطية جانبين مهمين في الدراسة (النطاق والعمق معًا) فقد تمت المزاوجة بين أدوات الدراسة الكمية والكيفية على السواء، وهي على النحو التالي:

أ– الاستبيان: استخدم الباحثان أداة الاستبيان لتغطية البيانات الكمية، وقد تم تصميم الأداة من ٢٤ سؤلاً تضمنت البيانات الأساسية للمبحوثين إضافة إلى تغطية المؤشرات الخاصة بموضوع الدراسة(*).

ب–دليل المقابلة المتعمقة: إذا كان هدف الدراسة يتجه نحو الكشف عن بيانات تفصيلية حول حياة الأشخاص وسلوكياتهم وخبراتهم وتصوراتهم، وبما يؤدي إلى الحصول على تحليل متكامل للتاريخ الاجتماعي للجماعة النوبية منذ بداية هجرتها إلى السويس، وما ارتبط بذلك من الاندماج الثقافي بكافة جوانبه، لذا تم تصميم دليل المقابلة(* *)، وذلك لأن المقابلة سوف تمكننا من الحصول على بيانات تفصيلية عن الذاكرة الجمعية لنوبيي السويس حول اندماجهم الثقافي كما تتجلى في المجتمع المحلي بالسويس.

ج–دليل الملاحظة: تم الاستعانة بدليل الملاحظة(***)، لتدعيم المعطيات الميدانية التي تم جمعها بواسطة دليل المقابلة المتعمقة، وإضافة حقائق جديدة حول موضوع البحث قد تكون أُغفِلت من قبل هذا الدليل.

٥– المقاييس والمعالجات الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

استخدم الباحثان برنامج التحليل الإحصائي SPSS لإجراء التحليل، وذلك بعد ترميز وتفريغ الإجابات علي أبعاد استمارة الاستبيان بجداول البيانات. وتناول بعض الأساليب الإحصائية التي استخدمت في تحقيق أهداف الدراسة وهي اختبار تحليل التباين Analysis of (ANOVA –Variance) في اتجاه واحد (One –Way) بين مجموعات الدراسة لمعرفة الفروق بين متغيرات الدراسة.

٦- أسلوب تحليل البيانات ومعالجتها: اعتمدت هذه الدراسة على التحليل الكمي والكيفي وذلك وفقًا لنوعية البيانات التي جمعها الباحثان، وهى بيانات ومعطيات كمية وكيفية تعمل على إتاحة الفرصة لحالات الدراسة كي يسهموا بفاعلية وتلقائية في تشكيل نتائج الدراسة، حيث تتوقف مهمة الباحثان على التحليل والتنظير واستخلاص النتائج، واعتمدت تلك العملية على إجراءين أساسيين هما:

١-تحليل المحتوى أو المضمون والذي اتخذ مساران أساسيان:

أ-التحليل الرأسي: حيث السماح لكل حالة مفردة في الجيل الواحد بأن تعبر عن ذاتها بشكل يستوفي كل متغيرات الدراسة وتفصيلاتها وتساؤلاتها.

ب- التحليل الأفقي: عمل الباحثان على محاولة الوصول إلى نظرة عامة وكلية لكل حالات الدراسة، حيث يظهر الاتفاق أو الاختلاف بين كل حالات الدراسة وبالتحديد بين الأجيال الثلاثة للدراسة، وقد اتجه الباحثان في التحليل الأفقي إلى فهم التباينات والتماثلات في المواقف والمعاني المشتركة والسلوكيات الاجتماعية، وبما أتاح الفرصة لبناء نتائج عامة وشاملة، وبما يعبر عن تأثير التحولات الاجتماعية لتغير مواقف الأجيال، وفي نفس الوقت الوصول إلى رؤى واستخلاصات عامة لا تتحدد بمواقف فردية أو أحادية.

٢- التحليل في ضوء المعطيات النظرية للدراسة: إن العلاقة بين شبكات المهاجرين والاندماج الثقافي لاتناقش من خلال الأبعاد النظرية فقط، تلك الأبعاد التي كانت تتكون من مؤشرات نظرية تنسج خيوط الدراسة وتقويها، ولكن أيضاً من خلال فهم الأبعاد النظرية والمؤشرات عبر المستوى الميداني لتكوين وحدات لجمع وتحليل البيانات وفهم علاقاتها ببعضها البعض، وكان التاريخ الاجتماعي في قلب الرؤية النظرية للدراسة، فبدون التاريخ الاجتماعي لم يكن ممكنًا فهم التحولات التي مرت بها الجماعة النوبية بالسويس، وكذلك لم يكن ممكنًا تدقيق الاتجاهات والرؤى النظرية وفهم علاقاتها بحالات الدراسة.

ثانيًا: مناقشة نتائج الدراسة الميدانية

وتظهر عمليه التحليل الميداني لحالات الدراسة أنها تنتظم في ثلاثة أجيال متباينة، من حيث السن وظروف الميلاد والنشأة في السويس، ومن ثم فإن الإجراء البحثي سيقوم على العرض الرأسي والأفقي للحالات، وصولًا إلى تقديم إجابات واضحة على تساؤلات الدراسة من الناحيتين الكيفية والكمية. وفيما يلي سنعمل على مناقشة معطيات الدراسة الميدانية كيفيًا وكميًا وهي كالآتي:

١-التاريخ الاجتماعي للمهاجرين واندماجهم الثقافي:

ثبت من معطيات الدراسة الميدانية وإجراءات التحليل الكيفي أن المؤشرات الخاصة بشبكات المهاجرين تتجسد في العديد من العوامل الفاعلة والتي كان لها الدور الرئيسي في تحديد عملية انتقال المهاجرين من النوبة القديمة إلى السويس فيما يربوا على زهاء قرن ونَيف من الزمان وكانت تلك العوامل التي اهتمت بها الدراسة وحددتها وحددت لها إطارًا إجرائيًا لتحليلها والتي على (مؤشرات الشبكات – مؤشرات الاندماج الثقافي).

وقد عملت شبكات المهاجرين النوبيين بالسويس على خلق أنماط من التنشئة والاندماج الثقافي بالموازاة مع أنماط التنشئة الاجتماعية والثقافية، فحيثما استقرت الجماعة النوبية وارتبطت بالسويس من حيث الإقامة والعمل والحياة فثمة إدراكًا ووعيًا منها بأهمية مشاركتهم في شئون المجتمع والتعبير عن مصالحهم وحمايته فقد كان للتاريخ الاجتماعي لحالات المهاجرين دورًا هامًا في تحديد وعيهم وتنشئتهم الاجتماعية فلم يعودوا أولئك المواطنين الذين كانوا يقيمون في جنوب البلاد في قرى منعزلة لا ترتبط بالقرى الأخرى بأي رابط أو تفاعل، فقد صار نوبيي السويس مواطنون مندمجون في شؤون مجتمعهم ومشاركون في إدارته والاهتمام بما يجري فيه وبمتابعة وتحليل نصوص المقابلات التي أجريناها مع حالات الدراسة سيتضح لنا ما يلي:

كانت شبكة المصاهرة والنسب هي التي قادت العديد من أصحاب حالات دراسة الجماعة البؤرية الثانية الذين جاؤوا إلى السويس عبر هذه الشبكة، وتمثل حالة الجماعة البؤرية الثانية (أ) من الجيل الأول نموذجًا من الذين ارتبطوا بالزواج من أحد النوبيين المقيمين بالسويس، بينما كانت الحالتان الأخرتان (ب، ج) من الجيلين الثاني والأول قد انتقلتا إلى السويس بصحبة أسرتيهما اللتان هاجرتا عقب تشغيل السد العالي عام ١٩٦٤. وتمثل حالة الجماعة البؤرية الخامسة (ج) من الجيل الثاني نموذجًا للاندماج المزدوج فهي تجمع بين ارتباطها بالسويس والتي قضت بها خمسة وثلاثون عامًا من حياتها مع أسرتها، علاوة على ذوي القربى والأرحام من عائلتهما الممتدة وقريتها والذين شكلوا شبكة وقاعدة اجتماعية بالسويس، عملت إلى حدٍ كبير على تمتين أواصل الاندماج الاجتماعي والثقافي لنوبيي السويس علاوة على الاعتزاز بالجذور النوبية الأصيلة، ومرحلة النشأة والحياة في النوبة القديمة والجديدة والتي استمرت لاثنين وعشرين عامًا، ومن ثم كانت عملية

الاندماج لدى تلك الحالة عملية متكاملة جمعت بين الخاص والعام حيث الجذور التقليدية والحياة الحديثة في بوتقة مميزة علاوة على أنها من الجيل الأول الذي كانت لديه صور الاندماج الثقافي في أوج قوته أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثانية (أ) من الجيل الأول «السويس بلد عشت فيها أحلي أيام عمري وعشرة مع زوجى عشت خمسة وثلاثون والأهل والأخوات، الأهل في دابود وأخواتي جات معايا السويس». «النوبة وطن عايش جوايا النوبة عشت اثنين وعشرين سنة». وغالبا ما يقارن نوبيي السويس أنفسهم بباقي المكونات الاثنية الأخرى خاصة الفاديج أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثانية (ب) من الجيل الثاني «الفاديج منفتحين بيتجوزوا من بره أما أحنا متمسكين بالعادات والتقاليد». وهو الأمر الذي يعكس مشاعر الاثنيات الفرعية التي غالبا ما زالت متسمة بالأصالة والقيم الجمعية، في ظل الوقت الذي قد يتجاوز فيه الآخرون ذلك الأمر. وتفخر تلك الحالة وابنتها بأصولهما النوبية رغم ارتباطهم الدائم بالسويس على أنهما يتقنان عمل المأكولات والمشروبات النوبية التي كانت تستعمل في النوبة القديمة الأمر الذي يمثل اهتماما بالحفاظ على الهوية بكل مكوناتها التراثية، وبما يعني أن الاندماج الثقافي لهما جمع بين العام والخاص بين أصولهم التاريخية وصور الثقافة المادية التي نقلاها من النوبة، علاوة على الرضا بالمدينة الجديدة (السويس) والإقامة بها. وكان واضحًا لدى حالتي الدراسة عدم الاهتمام بالطرق الصوفية والتي تمثل ركنًا مهمًا من أركان التاريخ النوبي بالسويس، إلا أن ارتباط الإناث لم يكن بالقوة التي ارتبط بها الذكور من كبار السن.

وتتباين وجهات النظر بين حالتي الدراسة فالأم أكثر اندماجًا في مجتمع السويس وارتباطًا بالمكان وليست لها أية رغبة في الهجرة من السويس، أو الإقامة مرة أخرى في النوبة، وذلك بعكس ابنتها التي ترغب في الهجرة إلى النوبة إذا سنحت لها الفرصة بذلك، أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (ب) من الجيل الثالث «نفسي اتجوز في النوبة زهقت من السويس». الأمر الذي يعكس مواقفًا متباينة يمكن تفسيرها بالتباين في فرص الحراك الاجتماعي بين الأجيال فالجيل الثالث يواجه تحديات شتى تجعله غير قادر على الاستقرار في المدينة أو الانتماء لها بشكل كامل.

وتمثل صاحبة الحالة الرابعة نموذجًا للنوبيين الذين ولدوا في النوبة القديمة وقضوا قدرًا من طفولتهم فيها ومن ثم تعلقت أذهانهم وأحلامهم بصور الحياة في النوبة القديمة وكأنها حياة مميزة وذكريات مفقودة لا تزال تلح عليهم في كل وقت وحين وانتقلت صاحبة تلك الحالة عام ١٩٦٤ إلى النوبة الجديدة وقضت ما يقارب العشر سنوات في النوبة الجديدة ريثما انتقلت مع أسرتها إلى السويس بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومن ثم تمثل تلك الحالة نموذجًا متكاملًا للشخصية النوبية المهاجرة إلى

السويس والتي قد مرت بعدة تجارب من الهجرة جمعت بين الاضطرار والاختيار حيث استقرت وتزوجت وأنجبت بالسويس. ولا تزال النوبة والحياة بها حاضرة في ذهن صاحبة تلك الحالة فهي تتحدث دائمًا عن عراقة التقاليد وبساطة ومرونة الحياة بها وتجاهلت تمامًا الحديث عن النوبة الجديدة التي قضت جزء من حياتها فيها.

وعند دراسة هذه الحالة نكتشف غياب شبكات الهجرة الداعمة فلم تقف على أدوات أو شبكات جلب المهاجرين وتمكينهم من الإقامة والعمل كما كان في الحالات السابقة من الجيلين الأول والثاني واتضح ذلك من شكواها المتكررة من مصاعب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السويس واضطرارها إلى الانفاق على تحسين فرص الحصول على الخدمات لها ولأبنائها حيث إن المستوى العام للخدمات الاجتماعية المقدم للمدينة ليس بالدرجة الكافية من الجودة الأمر الذي أضطرها إلى البحث عن خدمات أفضل بتكلفه أعلى خاصة في مدينة القاهرة القريبة من السويس وهي بشكل دائم يقارن بين الخدمات المتاحة بالمدينة والخدمات المتاحة بالعاصمة إلا أن ارتباطه بالسويس كان قويًا في المستويات الخاصة بالاعتياد على السكن بالمدينة وارتباطها بزوجتها وأسرتها ومدارس تعليم الأولاد على الظهير الاثني المتجسد في الشبكات القروية والمصاهرة والنسب. وبالرغم من مشكلات الاندماج لدى صاحب الحالة الخامسة إلا أنه لا زال يمتلك إدراكًا واضحًا بمكانة الحضارة والثقافة النوبية، علاوة على المظالم الجمعية التي تعرضت لها الجماعة النوبية خلال المراحل التاريخية التي تم فيها ضبط جريان النيل وصولًا إلى إنشاء وتشغيل السد العالي عام ١٩٦٤ حيث قادت تلك الظروف إلى تفتت الجماعة النوبية وتضرر هويتها وفقًا لوجهة نظره ويمثل صاحب الحالة الخامسة رؤية نقدية واسعة تمتد من مرحلة الهجرة القسرية عام ١٩٦٤ مرورًا بطريقة نقل وتهجير النوبيين وصولًا إلى عدم منحهم التعويضات الملائمة.

ولا يتحقق الشعور بالرضا التام عن قرار الهجرة لدى صاحب الحالة الخامسة نظرًا لافتقاده إلى العديد من مقومات الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي علاوة على ضعف الجذور الأسرية المقيمة في السويس من حيث ارتباطه الوحيد بعائلة زوجته. ومن ثم لا يتحقق له الرضا أو الاندماج الثقافي في المدينة في نفس الوقت لا يستطيع اتخاذ قرار مغادرة مدينة السويس نظرًا لعدم وجود بديل ملائم للحياة والمعيشة هناك. ولا تقلل تلك التحديات من اعتزاز صاحب الحالة الخامسة من الجيل الثاني بهويته وفخره باثنيته فهو يشعر بالاعتراف المميز بكل من هو نوبيي يعيش في السويس رغم أن أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية على غير ما يرام. ويبدو واضحًا ارتباط صاحب الحالة الخامسة بالجذور وطبيعة المشكلات والتحديات القائمة فيها وتستمر لديه مشاعر الاثنية

وتظهر بشكل واضح عند الحديث عن أي قضية تمس مجتمع الجذور خصوصًا النزاعات الاثنية والاحتكاكات التي تحدث بين الحين والآخر بين القرى النوبية وغيرها من الاثنيات الأخرى.

وتمثل الحالة الحادية عشر من الجيل الثاني نموذجًا للهجرة الذكورية للأجداد والآباء الأمر الذي مكّن الأبناء من الهجرة إلى السويس والإقامة بها فيما بعد، حيث هاجر والد صاحب تلك الحالة عام ١٩٥٨ من النوبة القديمة إلى السويس أي قبل بناء وتشغيل السد العالي وتهجير أهالي النوبة من أرضهم وهاجر والده للبحث عن عمل في السويس، نظرًا للظروف الحياتية والمعيشية في النوبة القديمة، حيث كان لتشغيل خزان أسوان ومراحل تعلياته المختلفة أثرًا كبيرًا على حياة وعمل المجتمع النوبي الكنزي باختلاف قراه، الأمر الذي ششجع العشرات بل والمئات من شباب القرى الكنزية على الاتجاه شمالًا خاصة شمال شرق مصر حيث إقليم قناه السويس وتركز الكثيرين منهم وخاصة الكنوز في مدينة السويس، وكان والد صاحب الحالة الحادية عشر قد قرر الهجرة بمفرده إلى السويس بناءً على دعوة وتشجيع ابن عمته الذي كان يعمل بالسويس، الأمر الذي يمثل دليلًا على أهمية وحضور الشبكات القروية والعائلية في دعم شبكات جلب المهاجرين. وعندما قرر والد صاحب الحالة الحادية عشر الزواج فانه قد تزوج من قريته قرية ماريا وترك زوجته وأولاده في القرية حيث حرص على استمرار زيارته لهم مرة واحدة في الشهر.

وتمثل الحالة الثالثة عشر من الجيل الأول نموذجا للهجرة الذكورية للآباء إلى السويس، حيث هاجر والد صاحب تلك الحالة قبل بناء السد العالي وذلك للحاق بأفراد أسرته من الذكور الذين عملوا بالسويس وتحقق لديهم العديد من الفرص الاقتصادية والاجتماعية ثم ما لبثت أسرته أن لحقت به بعد تهجير أهالي النوبة عام ١٩٦٤، حيث كانت الهجرة إلى السويس المرحلة الأخيرة التي حسمت قرار الاستقرار والإقامة في السويس. ومع الوقت كان للإقامة في السويس العديد من الفرص الاقتصادية والاجتماعية المميزة والتي تمكن العديد من نوبيي السويس من استغلالها حتى تمثلت لهم في هيئة فوائض اجتماعية واقتصادية مكنتهما من الاستقرار وعدم التفكير مرة أخرى في العودة إلى النوبة، وارتبطت صاحبة الحالة الثالثة عشر بشبكة التحديث والتي عملت على استقرارها وارتباطها وتطبيعها الاجتماعي الحضري حيث اندمجت في الحياة الاجتماعية وأنماط الحياه بالبيئة الحضرية، أو كما قالت «صعب لما تكوني عايشه في مدينة كبيرة وترجعي تعيشي في قرية مره ثانيه». حيث تمكن طابع الحياة الاجتماعية في المدينة من تغيير الأنماط السلوكية والحضارية لصاحبة تلك الحالة، إلا أنه في نفس الوقت عملت شبكات اجتماعية أخرى على تحديد مفهوم التضامن الجمعي لنوبيي السويس، وبما يحميهم من التفتت الناتج عن السكن في

المدينة وطبيعة العلاقات الثانوية السائدة فيها، حيث عملت الشبكة القروية والعائلية على التخفيف من أعراض الروح الفردية التي تنتجها شبكة التحديث، فنوبيي السويس ليسوا جماعة مفككة فقد عملت الشبكات القروية والعائلية والمؤسسات والروابط النوبية على حماية نوبيي السويس من التفكك أو التشرزم، أو كما قالت صاحبة الحالة الثالثة عشر «أحنا بننتمي لبعضنا البعض لأني نفس الأصل والثقافة». ويختلط مفهوم التضامن الجمعي عند بعض الحالات من نوبيي السويس مع التضامن الاثني ذلك التضامن الذي يدور حول دوائر وشبكات قروية وعائلية. وتمثل تلك الحالة الرابعة عشر نموذجًا لأبناء الجيل الثالث من شباب الجماعة النوبية بالسويس الذين ولدوا ونشأوا وعملوا في السويس، ومن ثم كانت علاقاتهم بالنوبة القديمة قائمة على عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية وبالرغم من ذلك فإن تلك الحالة تقدم أدلة وصور على الاعتزاز بالهوية النوبية؛ بل وتجسد معاناة الجماعة النوبية في كل مراحل هجرتهم التي اضطروا إليها، فصاحبة الحالة الرابعة عشر هي في الخامسة والثلاثين من عمرها ولكنها تمتلك معرفة تاريخية كبيره فيما يختص بالمظالم التي تعرضت لها الجماعة النوبية، ومن ثم فهي تسرد بكفاءة واضحة تلك المظالم بداية من مطلع القرن العشرين، خاصة مع اضطرار الجماعة الكنزية (اثنية الكنوز) إلى الهجرة إلى أماكن بعيدة ومرتفع عن أرضهم ودورهم بسبب التعليات المتتالية لخزان أسوان الأمر الذي قادهم في النهاية إلى الهجرة إلى الوجه البحري واقليم قناه السويس فصاحبة الحالة الرابعة عشر هي نموذج لتلاقي المكونات الاثنية للجماعة النوبية فوالدها من جماعة الكنوز ووالدتها من جماعة الفاديج، وللمصادفة فإن شبكة التحديث هي ذاتها التي كانت مسؤولة على زواج والدها ووالدتها رغم اختلاف الإثنية الفرعية فيما بينهما، حيث كان لتعليم وعمل الوالد السبب الأساسي في انفتاحه وتعرفه على زوجته من جماعة الفاديج حتى أن صاحبة الحالة الرابعة عشر قد تزوجت من شخص غير نوبي بالأساس وهو ما يمثل نجاحًا لشبكة التحديث في تجاوز العادات والتقاليد الملزمة عند الاختيار للزواج بل واعتبار أن هذا الموضوع أصبح عادي.

٢-مؤشرات الاندماج الثقافي:

وبعد عرض التاريخ الاجتماعي ينتقل الباحثان إلى التحليل الكيفي الناتج عن المقابلات المتعمقة مع حالات الدراسة، والتحليل الكمي الناتج عن أداة الاستبيان لعرض مؤشرات الاندماج الثقافي وهي كالآتي:

أ- التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي

وكان لشبكة التحديث دورًا هامًا في الاندماج الثقافي لنوبي السويس، حيث أقبلوا على تعليم أبنائهم في المدارس الحكومية تمهيدًا لحصولهم على أفضل الشهادات والمؤهلات للحصول على فرص عمل جيدة، أو كما قالت صاحبة الحالة الثالثة عشر من الجيل الثاني «والدتي كانت تعرف نوبي بس ما علمتناش اللغة لأنها محبتش تعلمنا اللغة النوبية عشان نقدر نروح المدرسة نتعلم عربي ويبقى لسانا سليم».

جدول رقم (٥) يوضح الفروق بين الأجيال في الإلمام باللغة النوبية

الاندماج الثقافي / الأجيال	الإلمام باللغة النوبية %				
	ملم باللغة النوبية		غير ملم باللغة النوبية		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الجيل الأول	١٠	%٥٨,٨	٧	%٤١,٢	%١٠٠
الجيل الثاني	٥١	%٤٥,٥	٦١	%٥٤,٥	%١٠٠
الجيل الثالث	١١	%١٨	٥٠	%٨٢	%١٠٠

وتثبت الحالة الثالثة عشر من الجيل الثاني أن تأثير شبكة التحديث تم بشكل مبكر، وكان أقوى تأثيرًا في قرية أبوهور مقارنةً بأية قرية نوبية أخرى، ومن ثم فقدت قرية أبوهور لسانها النوبي بشكل أسرع من أيه قرية أخرى، نتيجة لكثرة مهاجريها الذين هاجروا منذ بدء إنشاء خزان أسوان ١٩٠٢ م وتعلياته المختلفة، علاوة على الحجم الكبير للشبكة العائلية والقروية المقيمة بالسويس، الأمر الذي منحها فرصًا للاندماج الثقافي الذي قلل من احتفاظها بهويتها.

وعملت شبكة التحديث التي انخرط فيها المهاجرين النوبيين في السويس على إضعاف اللغة النوبية (الكنزية) وتراجع الاهتمام بإتقانها وإجادتها، خاصة بين الأجيال الأحدث، فإذا كان من بين حالات الجيل الأول من لازال بعضهم يجيد اللغة النوبية إجادة تامة دون أن يتمكن من تعليمها للآخرين، أو ينشرها والبعض الآخر يفهم اللغة النوبية ولكنه لا يستطيع أن يتحدث بها بطلاقة في كل الحالات وبشكل عام. وقد عملت الجماعة النوبية منذ أن وطأت أقدامها أرض السويس على تعليم أبنائها اللغة العربية واللهجة القاهرية، حتى يتمكنوا من الاندماج في المجتمع المحلي، والتفاعل مع الشبكات الاجتماعية القائمة بها ومن ثم التضحية باللغة في مقابل الاندماج الثقافي

وترتبط المخاطر المهددة للاندماج الثقافي لنوبيي السويس بقدرتهم على التفاوض، حيث أن تلك المخاطر تخلق نمطًا من التفاوض مع المجتمع المحلي وثقافته، حتى يمكن تسهيل عملية الاندماج والتفاعل الاجتماعي والتقليص من مساحات الاستبعاد والمواجهة الصريحة مع الفئات المختلفة من

المجتمع، وثبت من الدراسة الميدانية بأن من أبرز المخاطر التي تعرضت لها الجماعة النوبية بالسويس هي:

-الاستبعاد وعدم القبول في المجتمع المحلي نظرًا للاختلاف الاثني والثقافي

-فقدان اللغة النوبية وعدم القدرة على توريثها أو إعادة انتاجها

-الارتباط بالجذور التاريخية والحضارية للمكان الأصلي الذي هاجر منه الأجداد والآباء (المعرفة والتفاعل) ولمواجهة تلك المخاطر قامت الجماعة النوبية بالسويس بعملية تفاوض على الهوية، حيث فضلت حالات الجيل الأول التي هاجرت بشكل مبكر إلى السويس أن تتنازل عن الاستعمال الرسمي للغتها في مقابل اندماجها في مؤسسات المجتمع المحلي، وتحقيق أقصى قدر من التفاعل الاجتماعي والثقافي، وكانت اللغة وعدم مغادرة المكان بل وجلب المزيد من المهاجرين من ذوي القربى والأرحام من الملامح الأساسية لعملية التفاوض على الهوية مقابل الاندماج الثقافي، إلا أن تلك العملية صاحبها -خاصة مع تتابع الأجيال- التعرض للعديد من المخاطر التي أثرت بشكل واضح على ارتباط الجماعة النوبية بجذورها وهويها الثقافية الخاصة، حيث فُقِدت اللغة النوبية بشكل كامل باستثناء حالات محدودة لازالت تعرف بعض من ملامح تلك اللغة من دون القدرة على نقلها وتعليمها للآخرين، في نفس الوقت صار من الصعوبة بمكان أن تتم عمليه العودة إلى مجتمع الجذور، أو تبني قضايا ثقافية، بل إن حق العودة في حد ذاته لم يعد مطلبًا ملحًا أو عاجلًا تسعى الجماعة النوبية في السويس إلى تحقيقه أو التفاوض حوله.

وفيما يلي يتضح لنا صور المخاطر التي واجهت الاندماج الثقافي لنوبيي السويس وكذلك صور التفاوض على الهوية الثقافية من أجل مواجهه تلك المخاطر، فمن أبرز التحديات التي واجهت الجماعة النوبية بالسويس كان التحدي القائم على مسالة الهوية واللغة النوبية، فباللغة تُعرف الجماعات الاثنية والقومية وباللغة تعتز تلك الجماعات وتفخر بتميزها وأصالتها، وهو الأمر الذي مثَل فجوة ثقافية هائلة نالت من وعي الجماعة النوبية وأعمالها، فقد فشلت الشبكات والروابط النوبية بالسويس عبر امتداد وتعاقب الأجيال على تعليم اللغة النوبية، أو الحفاظ عليها بشكل موازي للغة العربية السائدة بالمجتمع المحلي بالسويس، وهو ما أدركته صاحبة الحالة الثالثة من الجيل الأول بقولها «بيحاولوا يعلموا الشباب والأطفال لكن الكل بيفشل».

وترتبط كل شبكات المهاجرين النوبيين بالسويس بمسألة الهوية، حيث تعمل كل شبكة منها على تحديد علاقة نوبيي السويس بهويتهم، وتأتي اللغة في مقدمة عناصر ومكونات الهوية، فإذا كانوا يفخرون بهويتهم وجذورهم الحضارية والتاريخية ولغتهم الكنزية، فإنهم في نفس الوقت لم يتمكنوا

من المحافظة عليها، حيث عملت شبكات عديدة على اشتراط اندماجهم الثقافي في مقابل تنازلهم عن بعد مكونات هويتهم، وفي تلك الأثناء فقدوا ارتباطهم بلغتهم. بل وإن العديد من حالات الجيل الأول خاصة الذين ولُدِوا في السويس أصبحوا غير قادرين على التحدث باللغة النوبية، أو إجادة بعض عباراتها، أو كما قالت صاحبة الحالة الثالثة من الجيل الأول «أنا معنديش إلمام باللغة النوبية مش بعرف أتكلم كويس لأن إحنا عايشين هنا». وتبذل شبكة المؤسسات والروابط النوبية دورًا هامًا في محاولة إعادة إحياء تلك اللغة، أو كما قال صاحب الحالة من الجيل الأول «بنحاول من خلال الجمعيات والأندية إني إحنا نعمل دورات تدريبية في ناس متخصصين بيعملوها زائد بنقولهم حاولوا تحافظوا عليها من خلال الأغاني بعمل فريق الكورال». ولا تزال مجهودات الحفاظ على اللغة النوبية غير كافية ولا ترضي طموحات نوبيي السويس. وتشرح حالات الدراسة للجماعة البؤرية الأولى كيف أن علاقتهم باللغة النوبية علاقة مضطربة، فأغلبهم لا يعرف اللغة النوبية ولم يجد فرصة لتعلمها وخاصة أن شبكة التحديث قد عزلتهم عن أية مصادر ثقافية نوبية تقدم لهم اللغة النوبية بشكل مبسط، وباستثناء صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (د) من الجيل الثاني والذي يُعد من الأشخاص المعدودة —داخل محافظة السويس– والتي يجيد بعض عبارات وجمل اللغة النوبية نظرًا لنشأته في أسرة جمعت بينه وبين جدته التي وُلِدت بالنوبة القديمة، وكانت والدته قد وُلِدت بالنوبة القديمة أيضًا، واللتان كانتا تجيدان اللغة النوبية، وحافظتا عليها نتيجة عدم اختلاطهما بالمجتمع المحلي في السويس رغم الإقامة فيه بعد الهجرة إلى السويس. ويتضح الدور الذي تلعبه شبكة المؤسسات والروابط النوبية في حماية ما تبقى من اللغة النوبية، وذلك عن طريق تنظيم مسابقات نوبية تدفع بعض الشباب النوبي إلى تعلم بعض العبارات والجمل النوبية، علاوة على استخدام الموسيقى والأغاني النوبية بشكل مكثف في كافة المناسبات التي يتم عقدها خصوصًا في النادي النوبي، وذلك من أجل ترسيخ اللغة والمعاني النوبية في أذهان الشباب النوبي. أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (د) من الجيل الثاني «بيعملوا مسابقات بالكلام النوبي عشان في حاجات كتير بتندثر».

وكان واضحًا من متابعة حالات دراسة الجماعة البؤرية الثانية (أ، ب، ج) أن اكتساب اللغة النوبية كان مرتبطًا أشد الارتباط بقضاء فترة من حياة النوبي المهاجر في النوبة القديمة، فالحالة (ج) في المجموعة البؤرية الثانية من الجيل الأول هي لسيدة قضت جزءًا من شبابها في النوبة القديمة وكانت شاهدة على معالم الحياة الاجتماعية بها، بالرغم من صغر سنها قد أثرت تلك المرحلة على مسيرة حياتها التالية، عندما انتقلت إلى السويس وتَعلق ذهنها وفؤادها باللغة النوبية وثقافة

المجتمع الذي نشأت فيه، بل إنها صارت فيما بعد أبرز معلمات اللغة النوبية بالسويس وما زالت رغم تجاوزها الخامسة والستين من عمرها تقوم بتدريس اللغة النوبية في الجمعية النوبية بالسويس، وتعتبر صاحبة تلك الحالة أن الحفاظ على اللغة مسألة جوهرية يجب العودة إليها بجدية، إلا أنها لا تجد أذانًا صاغية نتيجة ارتباط الشباب بشبكات التحديث التي تبحث عن مصادر مادية للعمل وقضاء وقت الفراغ ومن ثَم كان واضحًا ضعف عامل الهوية.

ومنعت شبكة التحديث الأسرة النوبية من تعليم أبنائها اللغة النوبية، أملًا في اندماجهم الثقافي في مجتمع السويس، وعدم تعرضهم لأي نقص وتأخرهم في الدراسة والتعليم، أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (أ) من الجيل الأول «أمي وأبويا مكانوش يتكلموا معايا نوبي بسبب العيشه هنا». وكان واضحًا أن حاله الأم لا تزال تحتفظ ببعض الجمل والعبارات النوبية، بل وكانت تحرص على استعمالها والحديث بها عند مطلع إقامتها بالسويس، ولكن مع الوقت والإقامة بالمدينة ابتعدت بشكل كبير عن استعمال تلك اللغة، و تعليمها لغيرها من الأبناء.

وتؤكد حالتي الجماعة البؤرية الثالثة (أ، ب) من الجيلين الأول والثالث أن ما يعرفه المصريون عن الحضارة النوبية ليس بالكثير، ولكن الروايات النوبية التي نشرها نوبيين من الإثنية الفاديجية قد عمل بشكل واضح على تعريف المصريين بالحضارة النوبية، علاوة على أن الاختلاط مع مكونات المجتمع المصري قد عمل على تحسين العلاقات معهم. ويعبر العديد من نوبيي السويس عن تطلعاتهم الجادة إلى تعلم اللغة النوبية وإجادتها، ورغم أن هذا الأمر عجز عنه المجتمع النوبي بالسويس بأكمله، ولم تتمكن روابطه ونشطائه من تحقيق نجاح يذكر فيه، ويمكن تفسير ذلك بمدى الاندماج الثقافي الذي تحقق لنوبيي السويس، وإن كان ذلك قد تم على حساب هويتهم اللغوية التي يفخرون بها، ويندمون على ضياعها، وهو ما عبرت عنه صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (ب) من الجيل الثالث بقولها «نفسنا نتعلم ونتكلم نوبي».

وكان للوعي بالمخاطر التي تهدد اللغة النوبية حضورًا كبيرًا لدى حالات الدراسة، فهما يتفقان على أهم المخاطر التي تعرضت لها اللغة النوبية، كان بسبب ضعف استخدامها لدى النوبيين أنفسهم، أو كما قالت صاحبة الجماعة البؤرية الرابعة (أ) من الجيل الثاني «اللغة النوبية مستقبلها بيضيع إني أحنا مش بنتكلم نوبي». الأمر الذي يعبر عن تساهل الجماعة النوبية في الاهتمام باللغة النوبية، نظير اندماجها في المجتمع المحلي وارتباط أبنائها بشبكات التحديث وتفاوضهم على بعض ملامح هويتهم. ولم تعد ترتبط بهويتها كما كانت لدى الأجيال السابقة، على الرغم من الحنين الجارف إلى الحضارة والحياة النوبية القديمة لدى الأجيال الناشئة، وهو الأمر

الذي تَمثل عند صاحبة الجماعة البؤرية الخامسة (ج) من الجيل الثاني «دلوقتي ما حدش بيتكلم نوبي ومستقبلها معرض للانقراض». وأضافت صاحبة الجماعة البؤرية الخامسة (أ) من الجيل الثاني «أولادي بيحاولوا يتعلموا إنجليزي مش نوبي». وهذا يدل على الحاجات العملية لأبناء الجيل الثالث، حيث اللغة الانجليزية هي لغة عالمية وهي لغة الرأسمالية للعمل والتعليم الدولي، بينما اللغة النوبية لم يكن هناك مجال لاستخدامها في الحياه العملية والاقتصادية.

ويدرك صاحب الحالة الخامسة من الجيل الثاني الآثار السلبية لهجرة النوبيين من أرضهم وتفرقهم في أنحاء الجمهورية على هيئة تجمعات كبيرة، حيث كان لتلك الهجرة عاملًا مهمًا في ضعف اللغة النوبية والارتباط بها، بينما الحياة في النوبة ستزيد من التمسك باللغة وقوة الارتباط بها، وهو ما أكده صاحب الحالة الخامسة من الجيل الثاني بقوله «أنا ما نسيتش اللغة النوبية لأني أنا متربي في النوبة بتكلم نوبي والهجرة هي اللي قللت من اللغة وأدت إلى عدم الاحتفاظ بها». فصاحب الحالة وهو وافد حديثًا من النوبة إلى السويس فهو يمتلك رصيدًا من اللغة النوبية قد لا يمتلكه نوبيي السويس المقيمين منذ فترات طويلة حيث أقام في أسوان ثلاثة وعشرون سنة.

جدول رقم (٦) يوضح الفروق بين النوع في الإلمام باللغة النوبية

الاندماج الثقافي / النوع	الإلمام باللغة النوبية				
	ملم باللغة النوبية		غير ملم باللغة النوبية		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الذكور	٣٩	%٤٤,٣	٤٩	%٥٥,٧	%١٠٠
الإناث	٢٩	%٢٨,٤	٧٣	%٧١,٦	%١٠٠

وتمتلك صاحبة الحالة الثامنة من الجيل الثاني شغفًا كبيرًا بالهوية النوبية ولغتها، وترى أنها من أهم المطالب التي يجب أن تلبيها الدولة والمؤسسات الثقافية للنوبيين، بل إنها في نفس الوقت تقدم نقدًا شديدًا بالتقصير وتعليم اللغة النوبية والاهتمام بنقلها للأجيال، حيث تنتقد تقصير قرية أبو هور سواء المقيمين منهم في السويس، أو في الجذور من حيث الاهتمام باللغة النوبية وتنشئة أبنائهم عليها، أو كما قالت «أبوهور هم اللي مش محافظين على اللغة بتاعتهم لكن باقي القرى محافظين عليها». ولعله من الأهمية بمكان أن نعمل على تفسير تلك الحالة من خلال التاريخ الاجتماعي لقريه أبوهور ذاتها. حيث إن قرية أبوهور من أولى القرى النوبية التي عرفت الهجرة لأول مرة خارج عالم النوبة وسكانها، فهم أول من اندمجوا في الحياة الاجتماعية المصرية بمعناها القومي، أي ليس بمعناها الإثني ويتضح ذلك عبر التأريخ والتأصيل الدقيق للهجرة الجماعية من

قرية أبوهور والذي يعود بدقة إلى عام ١٩٠٢ عند تشغيل خزان أسوان، بينما انتظر الفاديج حتى الفترة من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤ حتى اضطروا للهجرة خارج النوبة، تلك الهجرة التي لم يرغبوها ولم يفكروا فيها يومًا ما بخلاف نوبيي أبوهور، حيث هاجر الكثير منهم رغبة في تحسين فرص الحياة والمعيشة، والتخلص من ظروف الفقر ونقص مستوى الخدمات الذي كان سائدًا آنذاك في قرية أبوهور، وذلك بمعنى أن السعي للحداثة والتحضر كان أكثر حضورًا في قرية أبوهور عن أي قرية أخرى، ومن ثم ضعفت اللغة لديهم نظرًا لظروف الهجرة المبكرة.

وعملت عمليات الاندماج الواسع في المجتمع المحلي ومؤسساته على الإضرار ببعض ملامح ومكونات الهوية النوبية وعلى رأسها اللغة النوبية، وممارسة العادات والتقاليد النوبية الأصيلة، فصاحبة الحالة الرابعة عشر من الجيل الثالث لا تعرف شيئا عن اللغة النوبية أو كما قالت «للأسف أني أكون نوبية ومش عارفه حاجة عن اللغة والحضارة بتاعتي».

وتؤكد صاحبة الحالة السابعة عشر من الجيل الثالث أن جدتها كانت تلعب دورًا متميزًا في تعليمها اللغة النوبية، وبالرغم من ذلك فأن صاحبة تلك الحالة لا تتقن اللغة النوبية، ولا تتحدث بها باستمرار أو بشكل كبير، نظرًا لظروف ومؤثرات التحديث التي ألقت بظلالها على الأجيال الشابة في السويس، وبالرغم من أن صاحبة الحالة الثامنة عشر من الجيل الثاني تفخر بهويتها النوبية، إلا أنها لا تعرف الكثير عن تلك الهوية، خاصة اللغة التي كانت تتقنها الجدة ولكنها لم تنتقل إليها أو كما قالت أنها «لا تعرف غير أنها نوبية تعيش في السويس». وكانت تتمنى أن يكون هناك اهتمام أكبر بالثقافة والتاريخ النوبي، وكان واضحًا حرصها ومعرفتها بالعادات والتقاليد النوبية وخاصة في الأفراح والأزياء والطعام، إلا أن ممارسة تلك العادات ليس كما كانت تحكي لها جدتها في أسوان، ولا تخفي صاحبة تلك الحالة إعجابها بتمسك أهالي النوبة بالعادات والتقاليد الأصيلة، وهو الأمر الذي افتقدته في السويس، وإن كان كلًا من الجمعية والنادي النوبي يحرصان على تعويضهم من حيث عمل دورات لتعليم اللغة النوبية والفنون النوبية التقليدية.

جدول رقم (٧) يوضح الفروق بين الحالة المهنية في الإلمام باللغة النوبية

الاندماج الثقافي / الحالة المهنية	الإلمام باللغة النوبية %				
	ملم باللغة النوبية		غير ملم باللغة النوبية		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
يعمل	٤٩	%٤٩,٥	٥٠	%٥١,٥	%١٠٠

لا يعمل	٢٦	%٢٨,٦	٦٥	%٧١,٤	%١٠٠

وتشرح الحالة الحادية عشر كيف أن قضاء بعضًا من الوقت، أو الهجرة المتأخرة من النوبة إلى السويس قد يمنح الفرد قوة في اعتزازه بهويته إتقانه اللغة النوبية ومحافظته على العادات والتقاليد الأصيلة في مجتمع الجذور، وثبت من الدراسة الراهنة أن ثمة تباينًا مكانيًا ملحوظًا داخل مجتمع الجذور يؤثر في التباين النوعي بين المهاجرين إلى السويس، وكما اتضح سابقًا فإن قرية أبوهور على وجه الخصوص قد خضعت لتغير واضح في مستوى إتقان أبنائها اللغة النوبية، الأمر الذي ارتبط بالمهاجرين منها إلى السويس والذين هاجروا بشكل مبكر وسابق على أيه قرية نوبية أخرى. أما بعض القرى الأخرى مثل ماريا وغرب سهيل وغيرها فإنها لازالت تحافظ على هويتها من حيث اللغة النوبية والعادات والتقاليد النوبية الأصيلة كما كان يمارسها الآباء والأجداد، ويظهر تأثير التباين المكاني وتأخر الهجرة إلى السويس على الاندماج الثقافي لنوبيي السويس مع مجتمعهم المحلي وتقبلهم للتنوع الثقافي في مدينة السويس. وهو ما أوضحه صاحب الحالة الحادية عشر من الجيل الثاني بقوله «صعب شويه إني الواحد يقدر يعيش مع ناس فلاحين وصعايدة وناس غُرب من كل حته». حيث أن صاحب تلك الحالة قد قضى جزءًا من شبابه من نشأته وشبابه في النوبة، ومن ثَم تأثر بطبيعة البناء والتركيب الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجذور الذي كان يتميز بالواحدية الإثنية والتجانس الاجتماعي، ومن ثم كانت ثقافة التنوع وقبول التعدد الثقافي يحتاج المرور عبر تجربة تاريخية، حيث قضى جزء من الحياة الاجتماعية التعليمية والثقافية في مجتمع السويس وهو الأمر الذي يفسر الازدواجية الاجتماعية والثقافية لدى بعض نوبيي السويس. حيث شبكة التحديث التي نجح فيها أبناء القرى ذات القواعد الاجتماعية المحدودة بالسويس من الاندماج فيها من حيث التعليم والعمل. أو كما قال صاحب الحالة الثانية عشر من الجيل الثاني «أنا بتكلم نوبي عشان أنا تربيت هناك شويه وأثناء فترة عدوان ١٩٦٧ رجعت النوبة وأكثر قرايبي لسه قاعدين في النوبة».

ويرتبط صاحب تلك الحالة الحادية عشر من الجيل الثاني بمجتمع الجذور والسويس في آن واحد، فهو يرتبط بالعادات والتقاليد النوبية، وفي نفس الوقت يرتبط بطبيعة العمل والاستقرار في مدينة السويس، حيث ازدواجية الرؤية تظهر واضحة في سلوكه الاجتماعي من حيث ثقته الكبيرة في أبناء اثنيته مقارنة بالآخرين. أو كما قال صاحب الحالة الحادية عشر من الجيل الثاني «والله مش هلاقي الثقة موجودة بيني وبين اللي مش نوبي».

وكان واضحًا أن صاحبة الحالة العشرون من الجيل الثالث لا تعرف شيئًا عن اللغة النوبية ولا تجيد التحدث بها باستثناء كلمات وجمل بسيطة، كم أنها لا تستطيع أن تفهم أو تتحدث باللغة النوبية، فهي كما قالت «اللغة صعبة في كتابتها وقراءتها». وكان لشبكة التحديث دورًا هامًا في الحد من نقل وتعلم اللغة النوبية بين الأجيال، بسبب الاستقرار في المدينة والنجاح في التعليم والحصول على فرص عمل ملائمة، بل إن الأسرة النوبية ذاتها كانت تساهم في نجاح شبكة التحديث، وفي دمج نوبيي السويس في ثقافتها ومؤسساتها القائمة على التعلم والتحدث باللغة العربية فقط، من دون أي مؤثرات أخرى، أو كما قالت صاحبة الحالة العشرون من الجيل الثالث «أن أمي كانت ترفض إني تعلمني اللغة النوبية وكانت تقول لي انتظري حتى تخلصي تعليمك». وهنا يتأكد التأثير الطاغي لشبكة التحديث في عملية اندماج نوبيي السويس في الثقافة والمؤسسات القائمة بالسويس.

وصاحبة الحالة الحادية والعشرون من الجيل الثالث مثلها مثل العديد من حالات الجيل الثالث لا تجيد اللغة النوبية، ولا تعرف عنها الكثير، نتيجة الحياة الحضرية والاندماج في التعليم والتحديث داخل المدينة، حيث تحرص الأسرة النوبية على عدم تعليم أبنائها اللغة النوبية حرصًا منهم على نجاح الأبناء ومستقبلهم وتعليمهم في المدرسة، حتى أن والد صاحبة تلك الحالة ووالدة تلك الحالة يجيدان اللغة النوبية إلى حد ما، وكثيرًا ما يتحدثان بها في المنزل من دون اشراك الأبناء معهما.

وبالرغم من الفرص التي أُتيحت لنوبيي السويس من أجل العودة إلى مجتمعات جذورهم، فانهم لم يفعلوا بل كانوا حريصين على العودة إلى السويس، أو الإقامة في محافظات قريبة منها، حتى يتسنى لهم العودة إليها بعد زوال عدوان ١٩٦٧، حيث ظلوا أكثر من ست سنوات خارج مجتمع السويس، إلا أن الصلات والوشائج التي تربطهم بالسويس كانت أقوى من الأسباب التي يمكن أن تدفعهم إلى عدم العودة إليها، وبالرغم من أن صاحب الحالة الثانية والعشرون من الجيل الثالث قد شهد قسطًا من حياته في النوبة، إلا أنه فقد بعضًا من ملامح هويته وفي مقدمتها اللغة، أو كما قال «أنا مبعرفش أتكلم نوبي رغم إني أتولدت وعشت في النوبة لأني جيت على السويس وتأثرت بها وعشت وسط الصعايدة».

ونتيجة تأثر صاحب الحالة الثانية والعشرون من الجيل الثالث بعملية التحديث فإنه قد فقد العديد من ملامح هويته التقليدية، وعلى رأسها اللغة والمعرفة بجذور الهوية الاثنية وأصالتها، أو كما قال «معرفش حاجة عن تاريخ الهوية النوبية وأنا أصلًا بقيت معرفتش أتكلم نوبي». الأمر الذي يدل

على قوة عملية التحديث التي قلصت من معرفته واتقانه للغة وكذلك تاريخ جماعته النوبية وحضارتها.

جدول رقم (٨) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في الإلمام باللغة النوبية

الاندماج الثقافي / الحالة التعليمية	الإلمام باللغة النوبية %				
	ملم باللغة النوبية		غير ملم باللغة النوبية		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
بدون	٣	%٣٧,٥	٥	%٦٢,٥	%١٠٠
متوسط	٣٦	%٣٦,٤	٦٣	%٦٣,٦	%١٠٠
جامعي	٣٢	%٣٨,٦	٥١	%٦١,٤	%١٠٠

ويشكوا أبناء الجيل الأول من عجزهم عن تربية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة نوبية خالصة، فلم يتمكنوا من تعليمهم اللغة النوبية رغم أن حالتان من حالات الدراسة للجماعة البؤرية الثانية، يعتبران من أبرز معلمي اللغة النوبية بالسويس، إلا أنهما لم يحافظها على تلك اللغة حتى لدى أبنائهم، وعلل ذلك بشبكة التحديث مثل التعليم والعمل والإقامة بالمدينة. أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثانية (أ) من الجيل الأول «أولادي ما تأثروش بالنوبة لأنهم ما قعدوش فيها». وتهتم شبكة المؤسسات والروابط النوبية بالحد الأدنى من حفظ اللغة النوبية، وتكاد تتفق تلك المؤسسات على أهمية الأغنية النوبية، والتي تكون دليلًا ومستودعًا للعبارات والجمل النوبية ولكن بشكل جذاب وقابل للانتقال والحفظ.

وتؤثر تلك الرؤية على صاحبة الحالة السابعة عشر من الجيل الثالث، في تصور التحديات التي تواجه نوبيي السويس، خاصة فيما يخص الهوية والاستقرار الاجتماعي، حيث تتعرض اللغة النوبية لأزمة كبيرة، خاصة ما بين نوبيي السويس، ولا توجد مجهودات كبيرة لتغيير وإحياء تلك اللغة، حيث إن تلك المجهودات رغم أهميتها تكون محدودة وغير مؤثرة. وتقدم صاحبة الحالة الرابعة عشر نموذجًا للجيل الثالث الذي لا يعرف شيئًا عن اللغة النوبية، حتى أنها تفسر ذلك الجهل باللغة النوبية بأن ما وصلها عبر التنشئة الاجتماعية كان محدودًا للغاية، حتى أن جيل الكبار لم يقم بتلك المهمة في تعليمهم للغة النوبية، وفي نفس الوقت تُظهر حزنها ورغبتها في تعلم تلك اللغة رغم عدم وجود أدوات مساعدة على ذلك في السويس، وبجانب ضعف اللغة النوبية لدى نوبيي السويس فإن تمسكهم بالعادات والتقاليد النوبية لم يعد كما كان في الماضي، حيث أصبحت تلك

العادات والتقاليد تُمارس بشكل مدني حديث قد لا يمت بالصلة إلى الصورة الأصلية لتلك العادات والتقاليد نظرًا لتباين البيئة الاجتماعية.

ولمعرفة الفروق بين بين متوسطات المجموعات في أحد أبعاد الاندماج الثقافي (التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي)، وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)، تم استخدام تحليل التباين الأحادي One way analysis of variance (ANOVA)والجدول رقم (٩) يوضح نتائج هذا التحليل:

جدول (٩) يوضح دلالة الفروق بين متوسطات المجموعات في أبعاد الاندماج الثقافي وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)

البعد	المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	د. ح	التباين	قيمة ف	مستوي الدلالة
التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي	العمر الزمني	بين المجموعات	6.284	4	1.571	3.493	٠.٠٥
		داخل المجموعات	83.210	185	.450		
		المجموع	89.495	189			
	الحالة الزواجية	بين المجموعات	5.166	3	1.722	3.798	٠.٠٥
		داخل المجموعات	84.329	186	.453		
		المجموع	89.495	189			
	الحالة التعليمية	بين المجموعات	.675	2	.337	.710	غير دالة
		داخل المجموعات	88.820	187	.475		
		المجموع	89.495	189			
	الحالة المهنية	بين المجموعات	6.938	3	2.313	5.210	0,001
		داخل المجموعات	82.557	186	.444		

			189	89.495	المجموع		

أ- ثمة فروق ذات دلالة إحصائية بين الحالة الجيلية والتفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي، عند مستوي دلالة ٠.٠٠٥، مما يؤكد أن عامل الحالة الجيلية قد يؤثر علي التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي.

ب- ثمة فروق ذات دلالة إحصائية بين الحالة الزواجية والتفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي، عند مستوي دلالة ٠.٠٠٥، مما يؤكد أن عامل الحالة الزواجية قد يؤثر علي التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي.

ج- لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة التعليمية والتفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي، أي أن الحالة التعليمية لا تؤثر على التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي. وتدل هذه النتيجة الاحصائية على عدم وجود مَغذي يخص الحالة التعليمية في مسألة التفاوض على الهوية، حيث لم تكن هناك فرصة لتعلم اللغة النوبية سواءً في الأسر أو المؤسسات والروابط النوبية، نظرًا لحرصهم الشديد على ولوج أبنائهم في مؤسسات التحديث، مثل التعليم والعمل والتفاعل الاجتماعي والثقافي مع المجتمع المحلي، الأمر الذي عمل على زيادة غربتهم عن لغتهم النوبية لدى كافة المستويات التعليمية، وتقلص الأمر إلى استخدام الكلمات والعبارات البسيطة التي تنتقل عبر الأجيال من غير أن تكون هناك لغة مستقرة تم تداولها وتعلمها.

د- ثمة فروق ذات دلالة إحصائية بين الحالة المهنية والتفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي، عند مستوي دلالة 0,001، مما يؤكد أن عامل الحالة التعليمية قد يؤثر علي التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي.

ب- الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس

يعتبر الاعتراف من أبرز المعايير التي تستخدمها الهوية المكانية عند نوبيي السويس، حيث يعمل نوبيي السويس على الجمع بين هويتين أساسيتين هما: الهوية التاريخية، حيث الأصول والجذور النوبية؛ والهوية المكانية حيث التنشئة والاقامة والعمل، ومن ثم يعملون على تعزيز الاعتراف بتلك الهويتين لدى الآخرين، فالعديد من نوبيي السويس يُبرزون انتمائهم المزدوج، بل ويدافعون عن هذا الانتماء فهم نوبيون وسوايسة في نفس الوقت، ويمكن القول أن الهوية التاريخية ذات مغزى ثقافي، بينما الهوية المكانية ذات مغزى اجتماعي.

وتشير تلك الرؤية إلى التباين في تصور معنى ومضمون الاندماج الثقافي، حيث يختلف النظر إلى الاندماج في السويس عنه في النوبة، فاذا كان هناك قبول بتراجع العادات والتقاليد النوبية في مجتمع السويس، باعتباره ضرورة فرضتها عملية التحديث والتنوع وقبول السكن في المدينة، فان العديد من نوبيي السويس لا يقبلون تراجع الهوية والعادات والتقاليد النوبية في مجتمع الجذور، بل يرون أن الاختلاط في مجتمع الجذور بالمجتمعات والمكونات الاجتماعية الأخرى هو تهديد للهوية، ونزع للقيم والسمات الأساسية للثقافة والهوية النوبية، ومن ثم فإن معنى العزلة الثقافية لا يمثل معنى سلبيًا عن تصور الثقافة والهوية النوبية في مجتمع الجذور لدى نوبيي السويس.

ويمثل الاعتراف قيمة هامة لدى الجماعات الاثنية بشكل عام، ونوبيي السويس بشكل خاص، ويحدث الاعتراف نتيجة للتاريخ الاجتماعي للجماعة، الذي يحدد العلاقة مع المجتمع المحلي وسكانه، وكذلك نتيجة لحضور الشبكات الاجتماعية لنوبيي السويس في المجتمع المحلي، وإرسائها نموذجًا مقدرًا للجماعة النوبية ومنتسبيها. أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (ب) من الجيل الأول «بنتقَدّر لما بيتعرف إننا نوبيين».

جدول رقم (١٠) يوضح الفروق بين الأجيال في الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس)

الاندماج الثقافي / الأجيال	الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس) %				
	يشعر بالعزلة		لايشعر بالعزلة		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الجيل الأول	١	%٥,٩	١٦	%٩٤,١	%١٠٠
الجيل الثاني	١١	%٩,٨	١٠١	%٩٠,٢	%١٠٠
الجيل الثالث	٧	%١١,٥	٥٤	%٨٨,٥	%١٠٠

وتؤكد حالتي الجماعة البؤرية الرابعة (أ، ب) من الجيلين الثاني والثالث، أن أهم مصادر الثقة التي يتمتعان بها في السويس تأتي من نجاح الجماعة النوبية في تحقيق الاعتراف الثقافي بها عبر شوط طويل من النضال الاجتماعي لها في المدينة. أو كما قالت صاحبة الجماعة البؤرية الرابعة (أ) من الجيل الثاني «أنا كشخص عادي بشعر بالاحترام وإحساس كنوبية بيديني احترام أكثر».

ويقدم نوبيي السويس صورًا نقديةً لاذعةً للصور النمطية التي من خلالها تم تصنيف النوبيين والثقافة النوبية، وعند تلك النقطة يضعف الاهتمام بالمكوِّن الحضاري النوبي باعتباره جزءًا أصيلًا

من تاريخ المجتمع المصري. ويتم التقليل من الشأن والتاريخ النوبي إلى المستوى الفولكلوري والمظهري، الذي لا علاقة له بالحضارة النوبية. أو كما قال صاحب الحالة الخامسة من الجيل الثاني «أغلب المصريين لا يعرفون شيئًا عن الحضارة النوبية كل اللي في دماغهم إن النوبي هو بكار، وللأسف إني أغلب ثقافة الشعب المصري كده». الأمر الذي يدل على أن المظالم التي يعاني منها نوبيي السويس ليست متعلقة بحق العودة فقط، ولكنها مظالم ثقافية بالأساس.

ومن المطالب الثقافية لنوبيي السويس، تأتي الرغبة الجارفة في حفظ اللغة النوبية وإعادة إحيائها، على رأس تلك المطالب التي تندرج ضمن الحقوق الثقافية للجماعة النوبية، بجانب حق العودة إلى النوبة القديمة، حيث طالب العديد من حالات الدراسة بالعمل على إعادة الاعتبار للثقافة واللغة النوبية، واقترح العديد منهم أن تقوم وزارة الثقافة والجامعات والمراكز البحثية التاريخية بإصدار قاموس للغة النوبية، يماثل القواميس الكثيرة التي تتم اصدارها باللغة الأجنبية، وتمثل تلك المسألة عنصرًا هامًا للاندماج الثقافي للجماعة النوبية، حيث إن قوة الكل من تنوعه وتعدد مصادر هويته وثقافته.

ويحظى نوبيي السويس بقدر كبير من الاعتراف الرمزي بمكانتهم الاجتماعية في السويس، حيث أصبحوا من المكونات الرئيسية بالمجتمع السويسي –الذين لا يملكون التقليل من شأنهم أو حضورهم أو مكانتهم التاريخية– ويستفيد من ذلك الإنجاز الجماعي بالاعتراف والتقدير كل أجيال الجماعة النوبية بالسويس، والذين يجدون تقديرًا واحترامًا متميزًا في أي علاقة اجتماعية يدخلون بها. أو كما قالت صاحبة الحالة الحادية والعشرون من الجيل الثالث، «الناس بتقدرني جدًا لما يعرفوا إني نوبية». وكان مهمًا أن نؤكد أن صاحبة تلك الحالة تتجه إلى شبكة جماعة الرفاق والأصدقاء باعتبارها أحد أهم مصادر الثقة لديها، حيث تلجأ إليهم في طلب المساعدة والمشورة بجانب أسرتها الصغيرة.

ويأتي التعبير عن الهوية المركبة، بمعنى الصلة بين مجتمع الجذور الذي نشأ فيه الفرد واكتسب منه إطاره وقيمه الثقافية والمجتمع المحلي الذي هاجر إليه وعاش وعمل فيه، حيث العلاقة بين المجتمعين تأتي في مقدمة صور الاعتراف بالجماعة النوبية في مجتمع الهجرة، حيث يقبل المجتمع المحلي الهوية الثقافية الوافدة، في نفس الوقت فإن الجماعة النوبية تقبل هوية المجتمع المحلي. وعملت شبكه التحديث على تطبيع نوبيي السويس مع المجتمع المحلي بحيث امتلكوا هوية جديدة تضاف إلى هويتهم الأصلية القروية العائلية (الاثنية الفرعية) بحيث اكتسب نوبيي السويس الانتماء إلى المدينة أو كما قال صاحب الحالة الثانية «احنا هنا مندمجين مع السوايسة نعتبر سوايسه». فنتيجة

الانتماء تحقق الاندماج الثقافي، حيث يعمل الانتماء إلى المكان على خلق هوية مكانية جديدة تضاف إلى هوية مجتمع الجذور ومن ثَم يتحقق الاندماج الثقافي. عبر الدور الذي لعبته شبكات التحديث في ضرورة إحياء رأس المال الثقافي للمدينة، الأمر الذي ساعد على زيادة معاني الشعور بالانتماء للمدينة، بحيث عبر بعضهم على أنهم سوايسة خاصة أبناء الجيل الأول والثاني. أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «إحنا سوايسة إحنا نوبيين سوايسة».

جدول رقم (١١) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس)

الاندماج الثقافي / الحالة التعليمية	الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس) %				
	يشعر بالعزلة		لايشعر بالعزلة		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
بدون	–		٨	%١٠٠	%١٠٠
متوسط	١٢	%١١,١	٨٧	%٨٧,٩	%١٠٠
جامعي	٧	%٨,٤	٧٦	%٩١,٦	%١٠٠

وبالرغم من تعلق صاحبة الحالة الرابعة من الجيل الأول بماضيها السابق الذي قضته في النوبة، إلا أنها ترفض العودة إليها للإقامة بشكل نهائي مرة أخرى، وهو الأمر الذي يعبر بدقة عن نجاح عملية الاندماج الثقافي لها في السويس، نظرًا لانخراطها في العديد من الشبكات الاجتماعية التي مكنتها من النجاح في تجربة الاندماج، وفي نفس الوقت فهي تحافظ على علاقاتها بأرض النوبة فهي تواظب على السفر إلى النوبة مرتين في العام.

ولا يزال نوبيي السويس يحرصون على عاداتهم وتقاليدهم الأصيلة، رغم إقامتهم بالسويس منذ زمن طويل، خاصة في الأفراح. حيث يحافظون على ما تبقى من تلك العادات ولو بشكل رمزي، وكان مشروب الشاي باللبن من أبرز المشروبات التي حافظ عليها نوبيي السويس، علاوة على ضرورة تنظيم السبوع وتقديم فداء عند ميلاد الطفل.

وتعبر العديد من حالات الدراسة عن اندماجهما الوثيق في الحياة الاجتماعية بالسويس، إلا أنهم يقدمون بين الحين والآخر صور نقدية لطبيعة العلاقات والتضامن الاجتماعي القائم بالسويس، حيث تعتبر قيم التضامن والتكاتف في مجتمع الجذور أقوى وأعمق تأثيرًا، علاوة على سرعة الاستجابة للآخرين لأية مخاطر صعبة، وكذلك الالتحام مع الجماعة النوبية في أية فعاليات أو تعبئة تفتضيها الضرورة. أو كما قال صاحب الحالة العاشرة من الجيل الأول «أحنا كنا في النوبة

قريبين أكثر». وبالرغم من تلك الصور النقدية، إلا أن ذلك لا يقلل من مستوى الاندماج الثقافي لنوبيي السويس، ذلك الاندماج الذي يتفق مع الطابع الحضري في المدينة، حيث العلاقات الاجتماعية التي تتصف بالثانوية وغير المباشرة أو الدائمة وهو ما يعزز نشأة القيم والسلوكيات الحضرية والتي قد لا تكون متفقة مع قيمهم في مجتمع الجذور، ومن ثم تنشأ تلك الازدواجية الثقافية، حيث الرضا بمجتمع المدينة، والاندماج الثقافي في الحياة بها وعدم الرغبة في مغادرتها، في نفس الوقت تفضيل مجتمع الجذور حيث القيم والعادات والتقاليد والتضامن الاجتماعي. وتشير تلك الدوائر إلى تعدد مستويات الاندماج الثقافي، حيث تضيق الفئات والجماعات التي يمكن الاندماج معها وبما يعكس صور التفاعل الاجتماعي والثقة بين الجماعة النوبية بالسويس والآخرين، أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الرابعة (أ) من الجيل الثاني «افتخر إني أنا نوبية أفتخر إني أنا أبوهورية».

جدول رقم (١٢) يوضح الفروق في النوع في الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس)

الاندماج الثقافي / النوع	الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس) %				
	يشعر بالعزلة		لايشعر بالعزلة		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الذكور	٧	%٨	٨١	%٩٢	%١٠٠
الإناث	١٢	%١١,٨	٩٠	%٨٨,٢	%١٠٠

وتظهر بين الحين والآخر صور ومعاني الاعتراف بهوية النوبي السويسي، حيث القبول الواسع لتلك الهوية وحضورها خاصة لدى إناث الجماعة النوبية مقارنة بذكورها. أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (ب) من الجيل الثالث «مفيش حد قابلته وعرف إني أنا نوبية إلا وقال كلمة حلوة عن النوبيين».

ومن المخاوف الجمعية التي تسيطر على الجيلين الأول والثاني من نوبيي السويس، تأتي مسألة نزع الهوية، حيث يخشون من فقدان الهوية الثقافية والاعتزاز بالقيم والأصالة والحضارة النوبية، نتيجة الاندماج في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة. أو كما قال صاحب الحالة الثانية عشر من الجيل الثاني، عندما تحدث عن دور شبكة المؤسسات والروابط النوبية في حماية الثقافة والهوية النوبية «المفروض إني هم يجمعوهم ويفكروهم كل شويه إنهم نوبيين». وتجمع صاحبة الحالة الرابعة عشر من الجيل الثالث، بين الاعتزاز بالفخر بالجذور النوبية من جهه، والرضا بالحياة في مدينة

السويس من جهة أخرى. بل إنها ترى أن قرار عائلتها بالهجرة إلى السويس كان قرارًا صائبًا، حيث إن النوبة الجديدة ليست هي النوبة التاريخية، فالحياة في السويس أفضل مقارنة بالنوبة الجديدة.، كما أن القاهرة لم تكن ملائمة للحياة والاستقرار فيها؛ نظرًا للتضخم الحضري الكبير مقارنة بالسويس التي نشأت فيها صاحبه تلك الحالة، واكتسبت منها طابع الاستقرار والهدوء نظرًا لانخفاض معدل السكان مقارنة بالقاهرة، أو كما قالت صاحبة الحالة الرابعة عشر من الجيل الثالث. «الحياة في النوبة الجديدة البيوت فيها مش حلوة لسه في بداوة وما فيش تحضر». ويمكن من تلك الحالة أن نشير إلى أهمية التنشئة الاجتماعية في الارتباط بالمكان والانتماء إليه، حيث تعمل التنشئة على صياغة علاقة الانسان بموطنه الأصلي، من حيث الارتباط به واعتباره نموذجًا يتم القياس عليه عند المقارنة مع مجتمعات أخرى.

ولطبيعة الحياة في السويس والإقامة بها العديد من السمات المميزة لها، فهي تجمع بين التقليدي والحديث، بين البسيط والمركب، أي أنها تدمج بين الحياة الحضرية والحياة التقليدية، حيث يعيش الناس في تلك المدينة القريبة من القاهرة، في نفس الوقت الذي يستعيدون فيه جذورهم وأصولهم التقليدية، وهي ذات الدوافع التي تؤدي إلى الاندماج الثقافي لسكانها بها، فهي كمجتمع محلي يغلب عليها طابع الاستقرار ومحدودية العلاقات الاجتماعية. أو كما قال صاحب الحالة الثانية والعشرون من الجيل الثاني «السويس أوضة وصالة».

ولازال نوبي السويس يحرصون على إبراز هويتهم النوبية أمام الآخرين، ويظهر ذلك الحرص من تمسك الشبكات والروابط النوبية بتدشين بعض صور التراث المادي، التي كانت سائدة في النوبة القديمة، خاصة العمارة النوبية، كما لاحظ الباحثان ذلك الأمر داخل النادي النوبي، حيث تم تصميم النادي النوبي ومنشآته على غرار العمران النوبي التقليدي، علاوة على تصميم قاعات توازي ما كان قائمًا بالنوبة القديمة، مثل الونسة والمنزل النوبي التقليدي وما يحتويه من أثاث وأدوات معيشية مثل العنجريب (السرير النوبي) كما أن نوبيي السويس يهتمون في مساكنهم ودورهم بإبراز التراث والعمران النوبي، سواء كان داخل تلك المساكن أو على أبوابها وواجهاتها، وهو ما لاحظه الباحثان في قيام بعض نوبيي السويس بوضع طاقية نوبية (لباس الراس التقليدي عند النوبيين)، حيث يضعونه بشكل مجسم وبارز بمدخل وحداتهم السكنية.

صورة (أ) توضح بعض مظاهر التراث المادي النوبي في النادي النوبي العام بالسويس

ويتوارث نوبيي السويس الاعتزاز والفخر برموز حضارتهم وثقافتهم النوبية، وينعكس ذلك على أنماط معيشتهم وسكنهم، رغم أنها ليست بذات الحضور الذي كان قائمًا في النوبة القديمة، وتعزز شبكة الروابط العائلية تلك القيم. أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «لو جيتي بيتي تلاقي نص ديكور الشقة نوبي وأنا وزوجتي وأولادي مهتمين جدًا بالتراث النوبي». وينشط نوبيي السويس في عرض تراثهم المعبر عن حضارتهم وأرض النوبة البائدة، وذلك عبر مهرجانات التراث الثقافي داخل وخارج مصر، وإقامة أسابيع ثقافية داخل النادي النوبي. أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «الأسبوع الثقافي ده بيتم عمل فيه معارض- ورش عمل- ندوات- أكلات شعبية». وتقدم بعض الحالات مؤشرات ودلائل تشير إلى تقلص الدور الثقافي لنوبيي السويس، ومؤسساتهم في المجتمع المحلي إلى الحد الرمزي، حيث يتم الاستعانة بهم في صور تراثية بحتة، من دون أن يتطرق ذلك إلى جذورهم الحضارية والهوية المميزة، وهو ما عبرت عنه صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (أ) من الجيل الأول بقولها «بيجيبوا مغني نوبي للاحتفالات بجانب المغنيين المصريين».

وتمتد الشبكة العائلية لنوبيي السويس إلى مجتمع الجذور، وتحرص على قوة الارتباط والتفاعل مع مجتمع الجذور، على الرغم من وجود شبكة عائلية أخرى بالسويس، إلا أن مجتمع الجذور لا زال يشكل مرجعية هامة لنوبيي السويس. حيث يهتمون بما يطرأ على الأحوال الاجتماعية في مجتمع الجذور، خاصة المناسبات الجمعية، حيث يسافر أبناء الجيلين الأول والثاني في المناسبات مثل الأعياد وحفلات الزفاف والعزاء، في حين أن حالات الجيل الثالث قد لا تسافر إلى مجتمع الجذور إلا في حالات استثنائية بسيطة. ويرتبط صاحب الحالة الخامسة من الجيل الثاني، بشبكة المؤسسات والروابط النوبية والتي تقدم له شعورًا ووعيًا بالتضامن الجمعي، وكذلك إحياء العادات والتقاليد التي نشأ عليها في النوبة وورثها من أسرته ومجتمعه.

وتستخدم حالتي الجماعة البؤرية الرابعة (أ، ب) من الجيلين الثاني والثالث، عملية الاحالة الدائمة إلى النوبة القديمة في أي حديث عن انتمائهم الاجتماعي والاثني، وبالرغم من أن تلك الحالتان لم تولدا في النوبة القديمة، ولم تشهدا أيًا من أنماط الحياة الاجتماعية بها، إلا أنهما لا تكفان عن تقمص الحديث عنها وكأن كل واحدة منهما قد عاشت بالفعل في النوبة القديمة وشهدت وتأثرت بأنماط الحياة فيها.

فكل منهما تعود إلى ماضي النوبة القديمة للفخر بالعادات والتقاليد والأصول الاجتماعية وبسلاسة الحياة وهدوئها. وتنجح صاحبة الجماعة البؤرية الرابعة (أ) من الجيل الثاني في تحديد العائلات(*) أو الأسر الممتدة المكونة للمجتمع النوبي القديم التي كانت ثمانية عشر عائلة انتقلت إلى النوبة الجديدة، فبينما لا تتمكن صاحبة الجماعة البؤرية الرابعة (ب) من الجيل الثالث من إدراك الحجم الفعلي من العائلات التي انتقلت إلى النوبة الجديدة، في نفس الوقت الذي تتحدث عن الحجم بصيغة الجمع، عندما تتجسد حالة الفاعلين من النوبيين القدامى الذين أجبِروا على الهجرة إلى النوبة الجديدة أو خارج النوبة بشكل عام.

ولازال نوبيي السويس يعتزون بحضارتهم وهويتهم وذلك رغم العديد منهم لم يولد في النوبة القديمة، ولم يجرب الحياة والإقامة الدائمة أو المتقطعة بها، الأمر الذي يدل على نجاح الجماعة النوبية في السويس ممثلة في الأُسر ونظام التنشئة بها، علاوة على شبكة المؤسسات والروابط النوبية خاصة الدور الذي يقوم به النادي النوبي في الحفاظ على الهوية النوية، من حيث المعاني الرمزية الكامنة في نفوس النوبيين والمتوارثة، التي تدل على تقديرهم العالي لمكانتهم الحضارية وقيم هويتهم، حتى وإن لم يعرفوا الكثير عن تلك الهوية، أو يتقنوا لغتها، الأمر الذي يشير إلى نجاح الجماعات الاثنية القائمة على تقدير الذات التاريخية والقيم الحضارية المتوارثة،، حتى ولو تغيرت البيئة الاجتماعية والمكانية التي يحيون فيها.

إلا أنه في نفس الوقت فإن نوبيي السويس ينظرون إلى مجتمع الجذور على أنه النموذج الأصيل، أو النقي الذي ما زال يحافظ على الهوية والعادات والتقاليد النوبية، طالما كان بعيدًا عن المؤثرات الثقافية المغايرة له، حيث أن القرى النوبية التي لا تزال تحافظ على عاداتها وتقاليدها الأصيلة هي تلك القرى التي كانت بعيدة عن التفاعل الاجتماعي مع المكونات الاجتماعية الأخرى، أو كما قالت صاحبة الحالة الثانية عشر من الجيل الثاني «القرى القريبة من النيل واللي لسه ما اختلطتش بالصعايدة لسه محافظين على عاداتهم وهويتهم بينما اللي اختلطوا بأهل أسوان تراجعت عاداتهم وتقاليدهم».

ويظهر بين الحين والآخر محاولات للتصنيف التي تفصل بين نوبيي السويس من جهة وباقي التركيب الاجتماعي والسكاني لمجتمع السويس، حيث تقدم بعض الحالات تمييزًا بين الانتماء الإثني والانتماء القومي، خاصة حالات الإناث التي تميز بين الهوية الأثنية والهوية القومية، أو كما قالت صاحبة الحالة الثالثة عشر من الجيل الثاني «أنا ما زوجش ابني لواحدة مصرية ما تفهمش ثقافتنا». وهو الأمر الذي يفهم منه مستوى من التصنيف الاجتماعي، وصور من صور رأس المال القريب من مستويات التضامن الاجتماعي، ومعايير ومؤشرات الثقة وحسن الظن فليس نوبيي السويس من دعاة التفكك أو الصراع أو الانفصال عن الجسد المصري، بل هم أكثر ارتباطًا وانتماء بالهوية الوطنية والمصير المشترك، ولكن يبرز ذلك التصنيف من دواعي التضامن الجمعي داخل الجماعة الإثنية.

جدول رقم (١٣) يوضح الفروق بين الحالة المهنية في الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس)

الاندماج الثقافي / الحالة المهنية	الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس) %				
	يشعر بالعزلة		لايشعر بالعزلة		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
يعمل	١١	%١١,١	٨٨	%٨٨,٩	%١٠٠
لا يعمل	٨	%٨'٨	٨٣	%٩١,٢	%١٠٠

ويرتبط صاحب الحالة الحادية عشر من الجيل الثاني بمجتمع الجذور والسويس في آن واحد، فهو يرتبط بالعادات والتقاليد النوبية، وفي نفس الوقت يرتبط بطبيعة العمل والاستقرار في مدينة السويس، حيث ازدواجية الرؤية تظهر واضحة في سلوكه الاجتماعي من حيث ثقته الكبيرة في أبناء اثنيته مقارنة بالآخرين. أو كما قال صاحب الحالة الحادية عشر من الجيل الثاني «والله مش هلاقي الثقة موجودة بيني وبين اللي مش نوبي».

وقد حرص نوبيي السويس منذ البدايات الأولى لوجودهم في المدينة على أن ينخرطوا في مؤسسات التحديث، وفرص الحراك الاجتماعي. حتى إن وجودهم في أغلب المؤسسات والتنظيمات المحلية كان بارزًا ولا تخطئه العين. أو كما قالت صاحبة الحالة الثالثة «مفيش شركة مفيش مصلحة إلا ولازم يكون فيها نوبيين». فقد أدرك نوبيي السويس وبشكل مبكر أهميه التنوع والتفاعل الاجتماعي مع مكونات المجتمع المحلي، وقد تغيرت رؤيتهم للعالم وللآخرين، واهتموا بالأخص بالحداثة والاندماج في عمليات التحديث، وقد لعبت شبكة التحديث حتى على

مستوى الروابط والمؤسسات النوبية التي صارت مفتوحة أمام الجميع، فالنادي النوبي بالسويس أصبح يجذب لاعبين ومشتركين ليسوا من أبناء النوبة. أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «حتى في النادي دائما متداخلين مع المجتمع المحلي بنخدم المجتمع». ولا تمنع تلك التصورات والمشاعر السلبية صاحب الحالة الخامسة عشر –من الجيل الثالث– من الفخر بإثنيته وجذوره النوبية، علاوة على شعوره بالتقدير عند الآخرين عند إعلانه لهويته النوبية، وذلك نظرًا لحجم ومكانة الاعتراف الذي حظيت به الجماعة النوبية في السويس، حيث حققت الجماعة النوبية بالسويس قدرًا كبيرًا من التقدير، نظرًا لكثافة وقدم اندماجهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المدينة، وحرصهم على تقديم طابع عام من السلوك القويم الذي أنعكس على أغلب أداء وسلوك الجماعة النوبية بالسويس. ويعتز صاحب الحالة الثانية والعشرون من الجيل الثالث بالفخر الإثني الذي تحقق له في السويس نتيجة الاعتراف الكبير الذي تحظى به الجماعة النوبية في تلك المدينة، وهو الأمر الذي يؤكد على أن الهوية الثقافية قد تقلصت إلى مجرد التأكيد على معاني الفخر والاعتزاز في ظل فقدان العديد من ملامحها ومكوناتها.

ولاحظ الباحثان تبرم العديد من حالات الدراسة من الضوابط التي تحيط بنشاطات مؤسساتهم وروابطهم النوبية، خاصة عند إقامتهم أية فعاليات ثقافية(*). تمس الهوية والحضارة النوبية، حيث بات الأمر يحتاج إلى العديد من التصاريح والموافقات الحكومية الأمر الذي يعزز لديهم الشعور بأنهم أقلية وليسوا مواطنين. وكان لحالات الجيل الثالث العديد من صور النقد وتقييم الأداء المؤسسي لشبكه الروابط والمؤسسات النوبية، والتي تواجه صعوبات كثيره في نشر الثقافة النوبية وزياده إظهار ممارساتها لدى المجتمع المحلي، حيث أن الأمر الذي يؤثر على المعرفة الثقافية للجماعة النوبية وما يتبع ذلك من درجة الاعتراف الثقافي بهم.

وللثقافة المادية ورموزها مكانة كبيرة لدى نوبيي السويس فهي وإن كانت لا تُمارَس أو يُعاد انتاجها لدى نوبيي السويس فإنهم لا زالوا يحتفظون بذكريات دقيقة حولها على اختلاف وتباعد أجيالهم، حتى إنه عند الحديث عن العادات والتقاليد والرموز المادية والثقافية فإن حالات الدراسة تعود إلى استحضار تلك الرموز والمؤشرات الثقافية المادية التي كانت قائمة في النوبة القديمة، مثل النقوش ورسوم وصور الحيوانات التي يتم الاحتفاظ بها داخل المنزل والعمران النوبي مثل الجعران والتمساح، الأمر الذي يدل على الارتباط الثقافي لنوبيي السويس بجذورهم في نفس الوقت الذي يندمجون فيه في مجتمع السويس.

إلا أن السلوك الاجتماعي الأبرز لصاحب الحالة الخامسة عشر من الجيل الثالث، كان متمثلًا في تأكيده على رغبته من الزواج من نوبية، نظرًا لنمط التنشئة الخاصة به والذي قد يتفق في كثير من نواحي تنشئته، علاوة على قوة الجماعة النوبية عبر شبكة المصاهرة والنسب، إلا أنه بشكل عام كان واضحًا لدى صاحب تلك الحالة عدم اهتمامه بالتباينات الفرعية، نظرًا لكونه نشأ في أسرة متعددة الروافد الأثنية، وكان واضحًا لدى صاحب تلك الحالة أنه كان مقتنعًا ومدركًا لأهمية الاعتراف للجماعة النوبية وبقيمة المواطن النوبي وأصالة تنشئته وحضارته وذلك دون الخوض في تفاصيل أو قضايا اجرائية.

ولمعرفة الفروق بين بين متوسطات المجموعات في أحد أبعاد الاندماج الثقافي(الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس)، وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)، تم استخدام تحليل التباين الأحادي One way analysis of variance (ANOVA)والجدول رقم (١٤) يوضح نتائج هذا التحليل:

جدول (١٤) يوضح دلالة الفروق بين متوسطات المجموعات في أبعاد الاندماج الثقافي وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)

البعد	المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	د. ح	التباين	قيمة ف	مستوي الدلالة
الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس	العمر الزمني	بين المجموعات	.887	1	.887	4.367	٠.٠٥
		داخل المجموعات	38.192	188	.203		
		المجموع	39.079	189			
	الحالة الزواجية	بين المجموعات	1.781	3	.594	2.433	غير دالة
		داخل المجموعات	45.383	186	.244		
		المجموع	47.163	189			
	الحالة التعليمية	بين المجموعات	1.338	2	.669	2.730	غير دالة
		داخل المجموعات	45.825	187	.245		

		المجموع	47.163	189			
	الحالة المهنية	بين المجموعات	1.362	3	.454	1.844	غير دالة
		داخل المجموعات	45.801	186	.246		
		المجموع	47.163	189			

أ- ثمة فروق ذات دلالة إحصائية بين الحالة الجيلية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، عند مستوي دلالة ٠.٠٥، مما يؤكد أن عامل الحالة الجيلية قد يؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

ب-لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة الزواجية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، أي أن الحالة الزواجية لا تؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

ج- لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة التعليمية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، أي أن الحالة التعليمية لا تؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

د- لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة المهنية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، أي أن الحالة المهنية لا تؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

وتدل هذه النتيجة الاحصائية على عدم وجود مَغذي يخص الحالة الزواجية والحالة التعليمية والحالة المهنية في عملية الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، حيث أكدت الغالبية العظمى من حالات الدراسة بمختلف حالاتها الزواجية والتعليمية والمهنية، أنها أصبحت أكثر تكيفًا وارتباطًا بالمجتمع المحلي، علاوة على أن مجتمع النوبة القديمة لم يعد مناسبًا أو مُهيئًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية به. كما أكدت الغالبية العظمى من حالات الدراسة بمختلف حالاتها الزواجية والتعليمية والمهنية، أن درجة الاعتراف الثقافي يعكس الموقف من الشعور بالتميز والتنمر الإثني، حيث كانت حالات الدراسة أكثر قبولًا من المجتمع المحلي، الذي لم يمثل لهم مشكلة ثقافية أو اجتماعية، ومن ثم فإن معاني وصور التمييز الإثني لم تكن واضحه لديهم، حيث نجحوا في تحقيق درجات مرتفعة من الاعتراف بهم وبمكانتهم الاجتماعية والثقافية.

ج- الاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس

عملت شبكة التحديث على تغيير علاقات السكن للجماعة النوبية بالسويس، فلم يعد نوبيي السويس يقيمون في قرى أو تجمعات سكانية منعزلة كما كان الحال في النوبة القديمة، بل صاروا يقيمون في أحياء متعددة وبلا تنسيق مسبق بين بعضهم البعض، في نفس الوقت وبالنظر إلى أبناء النوبة المقيمين بالنوبة الجديدة في أسوان، فإننا نلاحظ استمرار تجمعهم وإقامتهم في قرى مستقلة، ومن ثم كانوا لا يحتاجون إلى إقامه روابط ومؤسسات تجمعهم معًا، كما هو الحال لدى نوبيي السويس. والذي عبر عنه صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول بقوله «إحنا هنا في السويس ملناش أي مكان معين منتشرين في السويس في كل مكان».

ويأتي الترفيه وقضاء أوقات الفراغ على رأس صور التحديث التي عرفتها مدينة السويس، وبما يمنح المدينة شخصيةً وحضورًا ثقافيًا تُعرَف به، ويزيد الاندماج الثقافي بين مواطنيها والوافدين لقضاء أوقات الفراغ، حيث إن رأس المال الثقافي للمدينة يزيد من انفتاح المدينة وقبولها للتنوع الثقافي، وحضور فاعلين اجتماعيين من مختلف التوجهات (والانتماءات الثقافية والإثنية)، وبما يؤكد الانتماء إلى تلك المدينة، والذي يعد أبرز وأقوى صور الاندماج الثقافي. ويبدو واضحًا من متابعة الدور الذي تقوم به المؤسسات والروابط النوبية بالسويس، حرصها على شغل أوقات الفراغ واعتبار أن الترفيه عن النفس يمكن قضاؤه في إطار الروابط والمؤسسات النوبية بالسويس، وذلك عبر الأدوات الثقافية للجماعة النوبية، مثل الرحلات الثقافية والترفيهية للنوبة الجديدة وأسوان، أو الرحلات إلى الجماعة النوبية على اختلاف إثنياتهم في الاسكندرية ومدن القناة، الأمر الذي ينعكس اجتماعيًا على قوة الجماعة النوبية وتضامنها سواء على المستوى الإثني، أو المجتمع المحلي داخل السويس.

جدول رقم (١٥) يوضح الفروق بين الأجيال في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

الاندماج الثقافي / الأجيال	تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس %				
	يتقبل		لا يتقبل		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الجيل الأول	١٥	%٨٨,٢	٢	%١١,٨	%١٠٠
الجيل الثاني	١٠٦	%٩٤,٦	٦	%٥,٤	%١٠٠
الجيل الثالث	٥٠	%٨٢	١١	%١٨	%١٠٠

وتؤكد متابعة حالات الدراسة الميدانية أن الجيلين الأول والثاني هما أقل طلبًا للعودة إلى النوبة القديمة، وإن كانوا لا يكفون عن مطالبهم بمنحهم أرض النوبة القديمة مرة أخرى، تلك الأراضي التي هاجر منها آبائهم وأجدادهم، أو كما قال صاحب الحالة الثانية «ما فيش ظروف ولا أي حاجه تدفعني أني أعود للنوبة أروح زيارات بس».

ويرفض أبناء الجيل الأول من نوبيي السويس فكرة مغادرة المدينة أو العودة إلى النوبة بشكل نهائي، فهم أبناء ذلك الجيل الذين هاجروا وولدوا في السويس قبل عام ١٩٦٤ ولم تترك ملامح الهجرة القسرية بعد انتهاء بناء السد العالي أثرًا عليهم بما يدفعهم إلى التفكير في اتخاذ قرار العودة مرة أخرى إليها، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «أنا مش همشي من المدينة عاملين زي السمك لو طلعنا منها نموت». ويرتبط نوبيي السويس ارتباطًا وثيقًا بالنوبة القديمة، فهي أرض الذهب والفردوس المفقود ومهد الأجداد، ومكان نشأة حضارتهم وثقافتهم التي يعتزون بها، غير أن مسألة العودة بشكل جاد إلى النوبة القديمة للحياة والإقامة بها لا تشغل بال الكثيرين منهم، إلا على أساس قضاء وقت معين في المناسبات والأعياد والحرص على أن يكون لهم بيت نوبي قائم هناك.

وترفض حالتي الجماعة البؤرية الرابعة (أ، ب) من الجيلين الثاني والثالث، مناقشه فكرة العودة مرة أخرى إلى النوبة، حيث إن ارتباطهما بالسويس ارتباطًا تامًا، مما يدل على قوة اندماجهما بالمجتمع المحلي بشكل واضح، علاوة على عدم توفر بديل ملائم لهما في النوبة، وذلك بالرغم من اعتزازهما الدائم بأصولهما النوبية وأرض النوبة التي ينتمون إليها، وهو ما أكدته صاحبة حالة الجماعة البؤرية الرابعة (ب) من الجيل الثالث، بقولها «لا صعب لأن أحنا ارتبطنا بمدرسة وبيت وعيال». ويرتبط نوبيي السويس ارتباطًا واضحًا بالسويس، بالرغم من انتمائهم لمجتمع الجذور في النوبة القديمة، واعتزازهم المستمر بأوضاعهم وأصولهم وحنينهم إلى أرض النوبة، إلا أنهم لا يفكرون – الجيل الأول والثاني والوافدين– إطلاقًا في العودة النهائية للنوبة أو الإقامة فيها بشكل دائم.

ويبدو واضحًا من متابعة حالات الجماعة البؤرية الأولى (أ، ب، ج، د) أنهم حققوا قدرًا ملموسًا من الاندماج الثقافي فيما يخص الإقامة والسكن بالسويس. فبالرغم من الفخر والانتماء العميق للنوبة وتاريخها، إلا أنهم صاروا لا يستطيعون الإقامة خارج السويس رغم أن جميعهم يمتلكون دُورًا مغلقة بالنوبة الجديدة بأسوان، ويذهبون إليها في أوقات الأعياد والمناسبات فحسب، ولعل الدور الذي بذلته شبكة التحديث كان الأبرز في عملية التطبيع الثقافي لحالات الجماعة

البؤرية الأولى (أ، ب، ج، د)، أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (أ) من الجيل الثاني «أنا مش حقدر أعيش هناك خلاص أنا مش حقدر أنا أتأقلمت هنا». وعزز ذلك صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (ج) من الجيل الأول «إحنا أخذنا على الجو هنا حتى الطقس هناك مش بنستحمله». كما أكد صاحب هذه الحالة –أيضًا– على «أن من أهم عوامل الاستقرار في السويس إني الناس بتيجي هنا علشان تشتغل عشان هناك ما فيش فرص عمل».

وتعمل الشبكة العائلية والقروية على تطبيع الجماعة النوبية بالسويس، وكذلك تدعيم الالتزام المعياري فيما بينهم، بحيث يصبح إقامتهم الجمعية بالمدينة دافعًا مهمًا من دوافع الارتباط بها، خاصةً وأنهم أبناء قريتين اثنتين من قرى النوبة القديمة، تتداخل بينهم علاقات القربى والأرحام، ولا زالوا متمسكين بشروط تلك الإقامة، أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (أ) من الجيل الثاني «أهلي كلهم قاعدين هنا وما أقدرش أعيش لوحدي زي إللي عايشين في القاهرة». وعزز ذلك صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (ج) من الجيل الأول «أتولدنا وتربينا هنا بقينا عاملين زي السمك لو طلعنا بره نتخنق».

وكانت تجربة السكن بالمدينة مختلفة عن السكن بالنوبة القديمة، حيث عملت شبكة التحديث في المدينة على تعزيز اندماج نوبيي السويس بها، أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (ج) من الجيل الأول «كأنهم هما منّنا». إلا ان حالتي الجماعة البؤرية (أ، د) لا يُخفي أي منهما مشاعر عدم الثقة تجاه مواطني السويس مقابل أبناء جلدته من النوبيين. أو كما قالا «النوبيين ما فيش عندهم اللؤم إنما بقى الجوربتيه(*[٣]). فيهم موضوع اللؤم إنما إحنا كل واحد فينا كتاب مفتوح». الأمر الذي يشير إلى عجز شبكة التحديث لدى تلك الحالتين عن إضعاف مشاعر الشك وعدم الثقة بالآخر، وكذلك الاستمرار في تصنيف الآخرين وفقًا لمعاني قد تبدو عنصرية. وتعبر حالات دراسة الجماعة البؤرية الأولى عن استقرارها وارتباطها بالمدينة –أي السويس– ارتباطًا كاملًا، حتى إنه لا يُتَصور أن يتركوها في يوم من الأيام أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (أ) من الجيل الثاني «مش هنقدر نتعايش هناك خلاص عيشتنا هنا وحياتنا كلها بقت هنا».

جدول رقم (١٦) يوضح الفروق بين الحالة المهنية في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

الاندماج الثقافي / الحالة المهنية	تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس %

	يتقبل		لا يتقبل		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
يعمل	٩١	%٩١,٩	٨	%٨,١	%١٠٠
لا يعمل	٨١	%٨٩	١٠	%١١	%١٠٠

وتعمل حالتي الدراسة البؤرية على تأكيد الاستعمال الثقافي للمدينة، فهما يتعاطيان مع صور التحديث القائمة بها، أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (أ) من الجيل الأول «لما بنزهق بانروح الكورنيش». الأمر الذي يعكس حاله التحديث التي تفيد قضاء وقت الفراغ وتغيير الحالة المزاجية عبر الذهاب إلى أماكن ممارسة الثقافة المادية التي تعبر عن هوية المدينة وثقافتها. وعملت فرصة الإقامة بالمدينة على تعميق اختلاط حالتي الجماعة البؤرية الثالثة (أ، ب) من الجيلين الأول والثالث بمجتمع المدينة، حيث التغيير في الإقامة من حي إلى حي وصولًا الى الاستقرار في منزل مِلك، الأمر الذي منحهما فرصة للتفاعل الاجتماعي مع قطاع واسع من السكان، ومن ثم تحقق لديهم قدرًا كبيرًا من الاندماج الثقافي والرضا بالإقامة في المدينة. وتبرز صور التباين مرة أخرى عند النظر إلى رؤية كل منهما للإقامة بالمدينة، والاستقرار بها، حيث حالة الأم التي لا تكف عن التعبير عن الرضا بالمدينة، وأنها متميزة عن غيرها من المدن من حيث الهدوء وانخفاض معدلات الزحام بها، بينما عملت ابنتها على التعبير عن نفورها من الحياه بالسويس، وسعيها إلى العودة مرة أخرى إلى النوبة، رغم ارتفاع درجات الحرارة في أسوان، التي دائمًا ما تعبر عنها من حيث أنها لا تساعد على الاستقرار في النوبة في نفس الوقت الذي لا تستطيع الاندماج تمامًا في السويس. ويبدوا واضحًا أن حالة الابنة من حالات الجيل الثالث الذين تقلصت لديهم الفرص الاجتماعية والاقتصادية، ولم يتمكنوا من تحقيق أنماط جيدة وملائمة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، علاوة على تراجع فرص الدخل والحياة الكريمة، وما يرتبط بها من مشكلات الاقامة في الحضر، مثل تأخر سن الزواج أو العنوسة. الأمر الذي يدفع إلى البحث عن الانتقال إلى أماكن أخرى قد تتوفر فيها فرص الحياة الكريمة.

وتحرص حالتي الجماعة البؤرية الرابعة (أ، ب) على التفاعل مع شبكة المؤسسات والروابط النوبية، والاستفادة من خدماتها، خاصة الجانب الترفيهي الذي يمثل فرصة للاندماج الثقافي مع أبناء المجتمع النوبي والمحلي بالسويس، أو كما قالت صاحبة الجماعة البؤرية الرابعة (أ) من الجيل الثاني «أنا بروح النادي النوبي أكثر مكان بستريح فيه وفي أماكن ترفيه».

ويبدو أن قُرب مدينة السويس من القاهرة، كان عاملًا مهمًا من عوامل اندماج نوبيي السويس في مدينتهم، حيث يجمعون بين نمط المدينة الهادئ، وسهولة الوصول إلى العاصمة بخدماتها المميزة من ناحية أخرى. فنوبيي السويس راضون عن حياتهم وسكنهم في مدينة السويس، خاصةً عندما يحاولون أن يعيشوا حياة اجتماعية وثقافية متقاربة معًا، من خلال الدور الذي تقوم به شبكة المؤسسات والروابط النوبية، علاوة على قوة الشبكة العائلية والقروية لنوبيي السويس وعدم وجود تناقضات إثنيه بها(*). وتروق الحياة لنوبيي السويس في مدينة السويس، ليس فقط لقربها من القاهرة أو لتمكنهم من تحقيق فرص مهنية واجتماعية جيدة، ولكن أيضًا بسبب طابع الحياة في المدينة، فهي ليست مدينة صفوة أو طبقات شديدة الثراء، حيث إنها ذات طابع وسطي، تعيش فيه الطبقة الوسطى، والتي تمثل العنصر الغالب للحياة الاجتماعية في المدينة، وهو الأمر الذي يتفق مع الأوضاع الطبقية لنوبيي السويس.

جدول رقم (١٧) يوضح الفروق في النوع في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

الاندماج الثقافي / النوع	تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس %				
	يتقبل		لا يتقبل		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الذكور	٧٨	%٨٨,٦	١٠	%١١,٤	%١٠٠
الإناث	٩٣	%٩١,٢	٩	%٨,٨	%١٠٠

ويحتل مفهوم الهوية المكانية مكانة بارزة في تحديد العلاقات الاجتماعية بين مواطني السويس ورؤيتهم لبعضهم البعض، فالسويس باعتبارها كانت مدينة ومركز جذب حضري وتجاري لفترات طويلة، فإن تيارات الهجرة قد امتدت إليها من كل أطراف الجمهورية، حيث كان ضبط عمليات التفاعل والتكامل الاجتماعي بينهم قائمًة على الهوية المكانية لكل منهم، وهو ما أوضحته صاحبة الحالة الرابعة عشر من الجيل الثالث عندما عبرت عن احتجاجها على وجود الدخلاء الذين وفدوا حديثًا للعمل والإقامة في السويس، ففي رأيها أنهم هم المسؤولون عن صور العشوائية وعدم النظام والانفلات التي اصبحت سمة بارزة للحياة الاجتماعية في السويس، وأكدت أن السلوكيات السلبية لهؤلاء الدخلاء نتيجة عدم وجود هوية مكانية تربطهم بالسويس، فقد جاءوا من محافظات أخرى بحثًا عن عمل وكسب مادي فحسب، أو كما قالت صاحبة الحالة الرابعة

عشر «دخلاء السويس دي مش بلدهم معندهمش انتماء ليها هما جايين لمجرد الشغل بس لكن أحنا أشتغلنا وقعدنا ومعندناش استعداد نسيب المكان». الأمر الذي يدل على أن الهوية المكانية عاملًا هامًا في النظرة إلى المكانة والمقارنة بين مكوناته الاجتماعية، ومن ثم تحديد بناء رؤية لسكان ذلك المكان وفقًا لهويتهم المكانية، وبما يشير إلى أن الاندماج الثقافي يرتبط بالهوية المكانية ارتباطًا كبيرًا، وهو ما اكتسبته صاحبة تلك الحالة باعتبارها من أبناء الجيل الثالث الذين ارتبطوا بالمكان وكونوا هوية مكانية به رغم ارتباطهم الأساسي والراسخ بالنوبة القديمة، وعادة ما يقارن نوبيي السويس بينهم وبين غيرهم من أبناء المحافظات الذين يقيمون ويعملون في السويس، حيث يحضر التصنيف والفرز الاجتماعي الذي يميز بين أبناء البلد والدخلاء، حيث الدخلاء هم المهاجرون حديثًا من المحافظات من ذوي التعليم والتنشئة المتواضعة –من وجهة نظر حالات الدراسة– والذين لا ينتمون للسويس بقدر انتمائهم إلى العمل الذي يُدّر عليهم دخلًا، ومن ثم فهم مستفيدون من المدينة ولا ينتمون لها –كما تقول حالات الدراسة– حيث إن معيار الاندماج الثقافي في المدينة يقوم على الاعتراف المتبادل بين المقيم والآخرون من سكان السويس، أو كما قالت صاحبة الحالة الرابعة عشر من الجيل الثالث «بمجرد ما بيتعَرِف إنه نوبي بيتعامل معاملة كويسة واحترام كبير».

ويمنح طول الاقامة وتعدد الأجيال المقيمة بالسويس قوة إلى الهوية المكانية لنوبيي السويس، أو كما ذكرت الحالة الرابعة عشر ذلك بقولها «أنا مواليد السويس وأبويا مواليد السويس وجدي مواليد السويس وبنحب السويس». حيث إن قِدم الشبكة القرابية وطول إقامتها في السويس أثر بشكل كبير في قوة هويتها المكانية. وتقدم بعض حالات الدراسة الراهنة نقدًا شديدًا للهجرة غير المنضبطة من الأقاليم والمحافظات إلى السويس، حيث أدى ذلك إلى تفاقم ظاهرة التضخم الحضري، وما ترتب عليها من ضعف قيم الضبط والالتزام المعياري، خاصة الخمسة عشر عامًا الماضية، أو كما قالت الحالة الرابعة عشر من الجيل الثالث «أحنا من زمان في السويس أبًا عن جد لكن منذ خمسة عشر عامًا فاتوا بدأ التعامل يتغير بين الناس في السويس نتيجة الأغراب اللي جو من كل حته بيدوروا على شغل في السويس». الأمر الذي يشير إلى مشكلات التواصل الاجتماعي والثقة في التعامل مع الآخرين، وهو يبرز مشكلة التمييز التي قد تواجه نوبيي السويس بشكل لم يتعرضوا له من قبل، أو كما قالت صاحبة الحالة تلك الحالة «التعامل مع الأغراب بقي صعب جدًا».

وبجانب توقف شبكة جلب المهاجرين، واجه نوبيي السويس مشكلة التفاعل الاجتماعي مع الوافدين الجدد من أبناء المحافظات من الوجه البحري والقبلي، الفلاحين والصعايدة والذين كان سلوكهم –وفقًا لصاحبة الحالة السابعة عشر من الجيل الثالث– مختلفًا عن سلوك أبناء البلد أو كما قالت «السوايسة الأصليين أصبحوا قليلين البلد اتملت ناس من كل حته». وتشرح تلك العبارة كيف أن الصراع الرمزي بين مكونات المجتمع السويسي لا تزال واضحة. وهناك من يرتبطون بالمدينة بناء على الاعتزاز بالمكان وهناك من يرتبطون بالمدينة بناء على أعمالهم التي تدر عليهم دخولهم ومعاشهم. وهو الأمر الذي يتضح بصورة كبيرة خلال العقدين الماضيين، حيث قررت صاحبة تلك الحالة وجود ظاهرة الارتباط النفعي بالمدينة، وبالرغم من ارتباط صاحبة تلك الحالة بالمدينة إلا أنها تواجه العديد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، حيث لا توجد فرصة عمل ملائمة، علاوة على ضعف تقديم الخدمات بالمدينة مقارنة بالأجيال السابقة، الأمر الذي اضطرها إلى التعبير عن استعدادها للعودة للنوبة في حالة توفر فرص عمل ملائمة لها هناك، خصوصًا وأنها غير متزوجة ولا يوجد الكثير الذي يربطها للإقامة الدائمة في السويس غير اعتزازها وانتمائها لها.

ولا تعاني صاحبة الحالة السابعة عشر من الجيل الثالث من أية مشكلات عنصرية نتيجة إقامتها بالسويس، وإن كانت أكثر انتقادًا لتزايد الوافدين الجدد وطالبي العمل، في نفس الوقت الذي يزداد فيه الجهل باللغة والحضارة النوبية وبقيمة ومكانة الإنسان النوبي، أو كما قالت «في ناس كثير ما تعرفش الفرق بين النوبي والأسواني». وكان واضحًا أن صاحب الحالة الثانية والعشرون من الجيل الثالث قد امتلك مهارة كبيرة في معرفة وتمييز المؤسسات التي تقدم الخدمات الجيدة، حيث منحته الخبرة والمعايشة قدرًا كبيرًا من التقدير والتقييم للمؤسسات التي تقدم خدمات أفضل، حيث توصل إلى أن ثمة إحدى المستشفيات الحكومية المتخصصة تقدم خدمات جيدة جدًا رغم أنها مجانية، بل إنه لا يستخدم القطاع الخاص، أو كما قال «مستشفيات الحميات في السويس أفضل من أي مكان خاص». وهو الأمر الذي يدل على امتلاك صاحب تلك الحالة رصيد ثقافي يمكنه من التكيف مع نمط الحياة في المدينة وكيفية استعمال مرافقها المختلفة.

وتدرك حالتي الجماعة البؤرية الرابعة (أ، ب) من الجيلين الثاني والثالث أن المجتمع السويسي رغم تنوعه الاجتماعي والمكاني والإثني، إلا أنه يتبلور في هوية مكانية واحدة، حيث السوايسة؛ كما قالت أن مواطني السويس يرتبطون بأواصر الاندماج والحياة معهم حتى أنهما تشهدان بالطبع

الأصيل والجيد للمواطني السويس رغم إدراك تنوعهم وتباينهم الاجتماعي، الأمر الذي يدل على حجم الاندماج الثقافي المتحقق لديهم.

جدول رقم (١٨) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

الاندماج الثقافي / الحالة التعليمية	تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس %				
	يتقبل		لا يتقبل		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
بدون	٦	%٧٥	٢	%٢٥	%١٠٠
متوسط	٨٩	%٨٩,٩	١٠	%١٠,١	%١٠٠
جامعي	٧٧	%٩٢,٨	٦	%٧,٢	%١٠٠

وتُمثل حالتي الجماعة البؤرية الثالثة (أ، ب) نموذجًا للتعود على الإقامة في المدينة والحياة بها، نظرًا لظروف الميلاد والتحديث معًا فالحالة (أ) من الجيل الأول بالرغم من أنها وُلدت في النوبة، إلا أنها تزوجت وأنجبت بالسويس، وارتبط بقائها في المدينة بعمل زوجها وتنشئتها لأبنائها، ومن هنا يمكن تفسير اندماجها الثقافي في السويس، حتى أنها لا تفكر هي أو ابنتها في العودة إلى النوبة مرة أخرى، إلا بدافع زيارة الأهل والأقارب وتمضية أيام العيد، أو كما قالت «حياتنا هنا في السويس هنسيبها ونروح فين خلاص تعودنا وشغلنا هنا والكل هنا». من هنا كان لوجود الشبكات العائلية والقرابية والتحديث دورًا هامًا في ربط هاتان الحالتان بعملية الاندماج الثقافي.

وبحسب حالات الجماعة البؤرية الخامسة (أ،ب،ج) فإن نوبيي السويس يهتمون بإظهار انتمائهم النوبي، وكيف أن حضارتهم وثقافتهم ذات أبعاد تاريخية عريقة، حتى أن صاحبة الجماعة البؤرية الخامسة (ب) من الجيل الثاني قالت «لو ما كنتش نوبية كنت أتمنى إني أكون نوبية». وهو الأمر الذي يدل على قوة الانتماء وحضور الولاء والهوية والثقافة النوبية، علاوة على أن الارتباط بالمكان أو النوبة القديمة والتي تمثل قاسمًا مشتركًا لأغلب نوبيي السويس الذين لا يكفون عن ذكر محاسن النوبة القديمة. وروعة الحياة التي تمتع آبائهم وأجدادهم فيها، إلا أنهم في نفس الوقت لا يرغبون في العودة إليها للإقامة والعمل والمعيشة بها، حيث إن ما حققوه في المدينة عزز لديهم دافع الارتباط لنمط الحياة الحديثة والمعقدة.

وبالرغم من تلك التحديات والمشكلات التي واجهت الجماعة النوبية، إلا أن صاحب الحالة الخامسة من الجيل الثاني لا يكف عن الفخر بمكانتها وأدواتها وأدوارها التاريخية وما قدمته لمصر

من تضحيات جليلة أثبتت انتمائهم إلى الوطن. وتمثل الحالة الخامسة نموذجًا للتمركز حول العائلة الممتدة، فصاحب تلك الحالة هو نوبي وفد حديثًا، ليست له جذور أسرية قوية باستثناء علاقات المصاهرة والنسب، ومن ثم فانه لا يكف عن اللجوء رمزيًا وماديًا إلى جذوره الأسرية التي لم يصحبها معه في هجرته، أو كما قال «في قبيلتي الناس مش بيتأخروا معايا في حاجه وده سبب حبي لقبيلتي». ومن ثم فان مصادر القوة الاجتماعية التي يعتمد عليها صاحب تلك الحالة توجد خارج السويس الأمر الذي قد يعوق اندماجه الكامل في شبكات التفاعل والتضامن الجمعي لنوبيي السويس.

ولمعرفة الفروق بين بين متوسطات المجموعات في أحد أبعاد الاندماج الثقافي (الاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس)، وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)، تم استخدام تحليل التباين الأحادي One way analysis of variance (ANOVA)والجدول رقم (١٩) يوضح نتائج هذا التحليل:

جدول (١٩) يوضح دلالة الفروق بين متوسطات المجموعات في أبعاد الاندماج الثقافي وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)

البعد	المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	د. ح	التباين	قيمة ف	مستوي الدلالة
الاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس	العمر الزمني	بين المجموعات	.545	2	.273	3.079	٠.٠٥
		داخل المجموعات	16.555	187	.089		
		المجموع	17.100	189			
	الحالة الزواجية	بين المجموعات	.038	3	.013	.169	غير دالة

		داخل المجموعات	13.778	186	.074		
		المجموع	13.816	189			
	الحالة التعليمية	بين المجموعات	.053	2	.027	.362	غير دالة
		داخل المجموعات	13.762	187	.074		
		المجموع	13.816	189			
	الحالة المهنية	بين المجموعات	.184	3	.061	.839	غير دالة
		داخل المجموعات	13.631	186	.073		
		المجموع	13.816	189			

أ- ثمة فروق ذات دلالة إحصائية بين الحالة الجيلية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، عند مستوي دلالة ٠.٠٥، مما يؤكد أن عامل الحالة الجيلية قد يؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

ب-لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة الزواجية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، أي أن الحالة الزواجية لا تؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

ج- لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة التعليمية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، أي أن الحالة التعليمية لا تؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

د- لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة المهنية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، أي أن الحالة المهنية لا تؤثر علي الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

وتدل هذه النتيجة الاحصائية على عدم وجود مَغذي يخص الحالة الزواجية والحالة التعليمية والحالة المهنية في عملية الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، حيث أكدت الغالبية العظمى

من حالات الدراسة بمختلف حالاتها الزواجية والتعليمية والمهنية، أنها أصبحت أكثر تكيفًا وارتباطًا بالمجتمع المحلي، علاوة على أن مجتمع النوبة القديمة لم يعد مناسبًا أو مُهيئًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية به. كما أكدت الغالبية العظمى من حالات الدراسة بمختلف حالاتها الزواجية والتعليمية والمهنية، أن درجة الاعتراف الثقافي يعكس الموقف من الشعور بالتمييز والتنمر الإثني، حيث كانت حالات الدراسة أكثر قبولًا من المجتمع المحلي، الذي لم يمثل لهم مشكلة ثقافية أو اجتماعية، ومن ثم فإن معاني وصور التمييز الإثني لم تكن واضحه لديهم، حيث نجحوا في تحقيق درجات مرتفعة من الاعتراف بهم وبمكانتهم الاجتماعية والثقافية.

د- تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي

ولعبت الشبكة العائلية والقروية دورًا هامًا عند صاحبة الحالة الثالثة من الجيل الأول في تحقيق الاستقرار الأسري، حيث إن بناتها قد تزوجن من نوبيين من أبناء القرية المقيمين بالسويس، وهو ما يدل على قوة الشبكة القروية في تحقيق الاندماج الثقافي بالمعنى القائم على الحفاظ على العادات والتقاليد التي اعتاد عليها النوبيين في مجتمعاتهم الأصلية بالنوبة القديمة. ومن ثم توارثوها. أو كما قالت صاحبة الحالة الثانية من الجيل الأول «بناتي متجوزين في السويس نوبيين».

جدول رقم (٢٠) يوضح الفروق بين الأجيال في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة الدراسة

الاندماج الثقافي / الأجيال	نمط الحياة اليومية يميل للذوق العام %				
	النوبي		يجمع بين النوبي وغير النوبي		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الجيل الأول	٥	%٢٩,٤	١٢	%٧٠,٦	%١٠٠
الجيل الثاني	٣٣	%٢٩,٥	٧٩	%٧٠,٥	%١٠٠
الجيل الثالث	١٧	%٢٧,٩	٤٤	%٧٢,١	%١٠٠

وكانت شبكة المصاهرة لدى نوبيي السويس متأثرة بتقليد الأجداد والآباء في عدم الزواج من خارج الجماعة النوبية بشكل عام، والعائلة والقرية بشكل خاص، وهو الأمر الذي نقله نوبيي السويس معهم عند هجرتهم إلى المدينة، لكن مع ارتباطهم بشبكة التحديث والحياة في المدينة وثقافتها، تغيرت أنماط اختياراتهم للزواج، خاصة لدى إناث الجماعة النوبية، فلم يعد الاصرار على الزواج من نوبي أو من أحد الأقارب عاملًا مهمًا في استمرار شبكة المصاهرة بلا عمل، بل عمل العديد من أرباب الأسر النوبية على تغيير معايير الاختيار، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «بقى في شيء من الانفتاح نتيجة الاختلاط». مما ساعد على انفتاح الجماعة

النوبية بالسويس على المؤثرات الخارجية والتنوع الثقافي والاجتماعي، وزاد من قدراتهم على التكيف والتطور الاجتماعي، الأمر الذي عمل على تطبيع نوبيي السويس بطابع مختلف عن نظرائهم وأقاربهم الذين لم يهاجروا أو يعملوا بالسويس.

وحيث أن طبيعة السكن بالمدينة لا تعزل مكونات الجماعة النوبية عن بقية مكونات المجتمع، حيث لا توجد آليات لفرز السكان أو تنميط الأحياء بصفة إثنية أو قبلية، الأمر الذي شجع بشكل كبير على الانفتاح والاندماج الثقافي مع المجتمع المحلي، بعكس الاقامة في مجتمعات إثنية مغلقة. ويحرص نوبيي السويس على إعادة ممارسة عاداتهم وتقاليدهم التاريخية التي كانت سائدة في مجتمع الجذور، ومن تلك العادات والتقاليد تأتي مراسم الاحتفال بميلاد الطفل النوبي، أو ما يسمى بالسبوع، واذا كانت الثقافة النوبية تحدد مراسم خاصة للاحتفال بالسبوع تتطلب تغطيس الطفل المولود في النيل، وغسل ملابسه وما يرتبط به ذلك من تقديم وجبات معينة بصفات محددة، فإن الأمر مختلف في السويس، فلم يعد النيل موجودًا بها، فيضطر نوبيي السويس إلى الحفاظ على تلك العادات والتقاليد من خلال الاحتفال الجمعي بتلك المناسبة، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «بيتعمل السبوع للطفل وبتتجمع الأسرة ويعملوا عقيقة». ويجري ذلك الاحتفال داخل النادي النوبي، حيث تلعب الشبكات والروابط النوبية دورًا في إحياء تلك المناسبات التي لم يعد ممكنًا ممارستها كما كان الحال في النوبة القديمة.

وتأتي مناسبة العزاء من ضمن صور التضامن الجمعي التي حافظ عليها نوبيي السويس، ولا يتأخرون عن التجمع فيها، وتظهر شبكة المؤسسات والروابط النوبية لتكفي نوبيي السويس أمرهم، خاصة في لحظة الحزن وفقدان الأحبة، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «لما يبقى في عزاء صاحب الميت يبقى قاعد مكانه والناس تعمل له كل حاجة». وتعمل جمعية الاتحاد النوبية على تأمين عملية دفن الموتى، حيث تخصص سيارة لنقل الموتى حتى ولو كان المتوفى مقيما خارج الكتلة العمرانية علاوة على نجاحها في بناء مقابر فسيحة ومنظمة.

ولا تزال عادات الزواج في مخيلة نوبيي السويس خاصة أبناء الجيل الأول، إلا أن ممارسة وحضور تلك العادات لم يعد ممكنًا كما كان في السابق، باستثناء بعض المظاهر الفنية التي تحاكي المراسم القديمة للاحتفال، أو كما قال صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول «موضوع الأغاني والفولكلور بتاعنا بنحاول نحافظ عليه في الفرح». وكان واضحًا أن نوبيي السويس صاروا أكثر انفتاحًا فيما يخص مراسم الاحتفال بالزواج، بل إن تلك المراسم صارت قريبة مما يقوم به أهل السويس من غير النوبيين، ولم يعد هناك إلزامًا معياريًا لعمل مراسم معينة، حيث يتوقف الأمر

على القدرة المادية والاقتصادية لذوي العريس، إلا أنه بشكل عام يحافظون على قدر ما من تلك المراسم، وتبذل شبكة الروابط والمؤسسات النوبية دورًا بارزًا في تعزيز تلك المراسم، حيث تسمح بعقدها في النادي أو الجمعية النوبية بتسهيلات مادية وأسعار رمزية. ويختار أقارب العروسان كتابة عقد الزواج وفقًا للتقاليد النوبية من حيث المقدم والمؤخر والالتزامات المادية، وهو ما عبر عنه صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول بقوله «العُرف عندنا إني المهر اللي بيسَجل في العقد بيكون مبلغ رمزي». أو وفقًا لما يتفق عليه الطرفان كما تقتضي طبيعة الحياة الحديثة في المدينة، من حيث كتابة الالتزامات المادية وهو ما عبر عنه صاحب الحالة الثانية بقوله «أنا عن نفسي يوم بنتي الماذون كتب ٢٥ جنيه»(*)، ويهتم نوبيي السويس عند الاحتفال بعقد القران بحشد أكبر عدد من أقاربهم وذويهم وأصدقائهم وزملائهم وجيرانهم من مواطني السويس، وتزيد تلك الصور من الاندماج الثقافي لنوبيي السويس.

ولايزال نوبيي السويس يلتزمون بمسألة الزواج الداخلي، حيث يصعب على الذكر أو الأنثى اختيار شريكة أو شريك حياته من خارج الجماعة النوبية، وثمة استثناءات بارزة لدى العديد من حالات الجيل الأول الذين وافقوا على زواج بناتهم من غير نوبيين، ويمكن تفسير ذلك بالدور الذي لعبته شبكة التحديث في تغيير الرؤى والمعاني الثقافية الخاصة بمسألة الاختيار للزواج، حيث التقى الباحثان بعدد محدود من حالات الجيل الأول الذين ارتبط بناتهم بغير نوبيين، وكانت فرص الحراك الاجتماعي والوظيفي مرتفعة لدى تلك الحالات. أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (د) من الجيل الثاني « لغاية دلوقتي من اللي عارفهم في السويس مثلاً بتاع خمس حريم بس اللي أتجوزوا من برا».

جدول رقم (٢١) يوضح الفروق بين النوع في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة الدراسة

الاندماج الثقافي / النوع	نمط الحياة اليومية يميل للزوق العام %				
	النوبي		يجمع بين النوبي وغير النوبي		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
الذكور	٢٣	%٢٦,١	٦٥	%٧٣,٩	%١٠٠
الإناث	١٦	%١٥,٧	٨٦	%٨٤,٣	%١٠٠

ويحافظ العديد من نوبيي السويس وخاصة من الإناث على العادات والتقاليد التي توارثوها، خاصة الفصل بين الإناث والذكور في المناسبات الاجتماعية، وهي عادة توارثها النوبيين الكنوز، واستهجنوا بشكل واضح غيرهم من الجماعات الأخرى التي تظهر لديها صور الاختلاط الواسع

بين الإناث والذكور في المناسبات الاجتماعية. ويبدو واضحًا من متابعة حالات الجيل الثاني والثالث، أن هناك تغيرًا ملموسًا في نمط الاختيار للزواج، فبالرغم من أن أولوية الاختيار تكون على أساس أن يكون الزوج أو الزوجة من أصول نوبية، إلا أن ثمة تغير واضح في تحديد النوبي أو النوبية الذي سيتم الارتباط به أو بها. فلم يعد شرطًا أن يكون من بين الأقارب أو الأسرة الواحدة أو العائلة الممتدة، وهو ما أكدته صاحبة الجماعة البؤرية الرابعة (أ) من الجيل الثاني بقولها «لازم يكون نوبي أو نوبية دي أول حاجة وما بفضلش أن يكون قريبه أو قريبته».

ومن الأهمية بمكان أن نثبت أن الاختيار للزواج داخل الجماعة الاثنية من الأمور الراسخة والمحددة سلفا، والتي يصعب تغييرها أو مقاومة أولوياتها، إلا أن نوبيي السويس قد سجلوا حالات عديدة كان فيها الاختيار من خارج الجماعة النوبية، خاصة لدى الإناث وكانت تلك الظاهرة ملفتة للنظر. وإن كانت لدى حالات محدودة من إناث الجيل الثالث، ولكن في حالة الذكور فكان الأمر مختلفًا فلم يسمح للذكور الزواج من خارج الجماعة النوبية، ولعل قيمة الذكر كانت مرتفعة في الثقافة النوبية خاصة عند الجماعة الكنزية بالسويس، حيث الولد أو الذكر هو الذي يحمل تراث وثقافة الجماعة، ويمثل قوتها الرمزية غير أن هناك تغيرًا في نمط الاختيار من بين النوبيين فلم تعد ضرورة الزواج من الأقارب ملزمة له، وحدث اتساع في عمليه الاختيار للزواج طالما كان الزوج أو الزوجة نوبية.

وتظهر دراسة حالات الجماعة البؤرية أن ثمة قواعد وتنظيم لمسالة الزواج من خارج الجماعة النوبية، حيث أن الذكر الأول في الأسرة (الابن الأكبر) ليس له حق الاختيار من خارج الجماعة النوبية. أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (د) من الجيل الثاني «الولد البكري هو اللي ماسك الحاجة بتاعتهم في البيت هو اللي يعتبر الكبير بتاعهم ده ما ينفعش يتجوز من بره لكن الواد الثاني أو الثالث مش مشكلة». ويبدو واضحًا من مراجعة الحالة الثالثة عشر من الجيل الثاني أن ثمة تفاوضًا على الهوية عند الاختيار للزواج، حيث أن الاستقرار الأسري لم يعد –عند نوبيي السويس– قائمًا على الاختيار من داخل الجماعة النوبية فقط، بل نجحت تلك الجماعة في تحقيق الاستقرار الأسري عبر الانفتاح على الزواج من خارج الجماعة النوبية خاصة فيما يتعلق بالإناث.

ولاتزال الأسرة والعائلات النوبية بالسويس تحافظ على بعض مظاهر العادات والتقاليد التي نشأ عليها الأجداد في النوبة القديمة، خاصة في الزواج والوفاة، مثل الحرص على اقتناء بعض أدوات الزينة المحددة، أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (ب) من الجيل الأول «بالنسبة

للزواج تجبلها الروايح الخُمرة الدلكة الدخانية، وفيما يخص عادات الوفاه كانت تلتزم الأرملة بيتها ولا تخرج منه علاوة على عدم ظهورها في أي مظهر زينه واضحة». وكانت شبكة التحديث من أهم العوامل التي طغت في التأثير على العادات والتقاليد النوبية، أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثانية (ب) من الجيل الأول «لما الناس مشيوا من النوبة القديمة كل عاداتهم أتغيرت». فالارتباط بالجذور المكانية كان مصدرًا ملهما لصيانة العادات والتقاليد والقيم النوبية الأصيلة، والتي ضعفت وظلت عالقة في ذكريات الكبار وحكاياتهم عن النوبة القديمة.

وتمثل شبكة المصاهرة والنسب عند نوبيي السويس نموذجًا للتغير في الاختيار عند الزواج داخل الجماعة النوبية، حيث تغيرت معايير الاختيار داخل الجماعة، والتي كانت في الأصل تتم على أضيق نطاق للجماعة، حيث كان يفترض أن يكون الزوجين من نفس القبيلة، أي أنه لا يخرج الأمر في أقصى الحالات عن الدائرة الإثنية الفرعية، ولكن مع انتقال الجماعة النوبية للسويس واندماجهم الثقافي، تغيرت معايير الزواج فلم يعد شرطًا أن يكون الزوجين من نفس القبيلة، كما لم يعد شرطًا أن يكون الزوجين من نفس الاثنية الفرعية، أو كما قال صاحب الحالة التاسعة من الجيل الثالث «بنتي الكبيرة هي جوزها مش من نفس القبيلة بس نوبي، أما بنتي الثانية تجوزت عريس من القاهرة من الفاديج».

ويؤمن نوبيي السويس من الجيلين الأول والثاني بضبط مسألة الزواج والاختيار للزواج، بحيث يكون المعيار الأول الزواج من نوبي أو نوبية، نظرًا لاتفاق الميول والتنشئة والتصورات المشتركة، إلا أنهم في نفس الوقت يدركون حجم التغير الاجتماعي والثقافي في مجتمع المدينة، حيث يصعب تطبيق معايير الاختيار التي كانت حاكمة في مجتمع الجذور على المدينة نظرًا لتحولاتها وتعقد نمط الحياة الاجتماعية بها، علاوة على ثورة وسائل التواصل الاجتماعي الحديث، وسرعة الاتصال بين الناس وبعضهم البعض، الأمر الذي غير من أنماط التنشئة الأسرية والثقة المتبادلة، وغيّر من النمط الثابت للزوجة النوبية، أو كما قال صاحب الحالة الثانية عشر من الجيل الثاني «أنا عن نفسي أفضل الزواج من نوبي أو نوبية لكن دلوقتي في خلافات كثير والشباب بيفكر يتجوز من بره لأني مش هتلاقي الشخصية زي ما أنت متصور حتى ولو كان نوبي أو نوبية».الأمر الذي يؤكد أن النمط الاجتماعي للتنشئة والإقامة في المدينة يخلق صورًا جديدة للتفاعل الثقافي، وكذلك تغير أنماط السلوك والخروج من حلقة الأنماط والعلاقات المتوقعة والراسخة، أو كما قال صاحب الحالة الثانية عشر «إني في ناس تلوثت وتغيرت شخصيتها». وهو ما يعني به الخروج عن الأنماط التقليدية للتنشئة السلوكيات المتوقعة.

ويحتفظ صاحب الحالة الخامسة من الجيل الثاني بصورة واضحة ومتماسكة من صور الاحتفاء بالعادات والتقاليد النوبية، خاصة أنه عاش فترة طفولته وشبابه في قرية أبوهور النوبية ثلاثة وعشرون سنة، ومن ثم فقد عايش ومارس العديد من العادات والتقاليد النوبية، ولا تغيب عنه النظرة المقارنة، حيث يرى بشكل عام أن التضامن والتفاعل الجمعي يكون في أعلى درجاته في القرية النوبية وليس في مدينة السويس، فلايزال نوبيي أسوان يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم رغم رياح التحديث التي هبت على أرض النوبة، أو كما قال صاحب الحالة الخامسة «في القرية النوبية لو ندهوا في الميكروفون في دار الضيافة بعد عشر دقائق تلاقي الناس كلها أتلمت أما في السويس يبعت للناس على الواتس علشان تجمع الناس تقعد سبع ساعات ولو جم أصلًا».

ومن العادات والتقاليد التي خضعت لرياح التغيير عدم حرص النوبي على تزويج ابنته من نوبي مثله، وفي نفس الوقت أنه يتفهم معنى الالتزام بالزواج من نوبي أو نوبية، حيث تأتي مسأله الالتزام المعياري والثقة في السلوكيات المستقبلية وضبط التصرفات الطارئة وغير المتوقعة على رأس أسس النظر إلى الالتزام بالزواج من داخل الجماعة النوبية، وإن كان ذلك غير ملزمًا في اللحظة الراهنة مقارنة بمجتمع الجذور الذي لا يمكن فيه تغيير أو التفاوض على تلك العادات والتقاليد. وبما أن علاقة الزواج والمصاهرة هي من أدق العلاقات الاجتماعية وأكثرها خصوصية وتأثيرًا على العلاقات الاجتماعية المتعددة والممتدة، فإنها قد لا تخضع إلى التغيير الكامل أو المفاجئ، حيث تحتاج فترات زمنية طويلة حتى تتغير طبيعتها ومن أجل ذلك لازال نوبيي السويس يعتبرون أن الثقة المتبادلة وحسن الظن المتبلور حول الهوية الاثنية هو أساس ارتباط الزواج والمصاهرة، حتى أنه في حاله نشوب نزاع أو صور للتفكك داخل الأسرة، فان ثمة آليات ملزمة داخل الجماعة النوبية تضمن رأب ذلك الصدع، حيث يأتي على رأس تلك الآليات القضاء العرفي الملزم، بينما قد لا يكون هذا القضاء معترفًا به إذا كان أحد أطراف العلاقة الزوجية غير نوبي، أو كما قالت صاحبة الحالة السادسة من الجيل الثاني «لو جبت واحد جوربتي فلاح ممكن يهيني وما يعملش اعتبار لوالدي».

جدول رقم (٢٢) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة الدراسة

الاندماج الثقافي	نمط الحياة اليومية يميل للزوق العام %

الحالة التعليمية	النوبي		يجمع بين النوبي وغير النوبي		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
بدون	٢	%٢٥	٦	%٧٥	%١٠٠
متوسط	٢٢	%٢٢,٢	٧٧	%٧٧,٨	%١٠٠
جامعي	٣	%٣,٦	٨٠	%٩٦,٤	%١٠٠

وعملت شبكة التحديث على تغيير الكثير من العادات والتقاليد الراسخة، ومن أبرز تلك العادات كانت عملية الاختيار للزواج، حيث تغيرت النظرة المتحيزة للزواج من نوبي أو نوبية فقط، وصارت عمليه الاختيار متوقفة على قيم الحياة بالمدينة وليست على الجذور التاريخية لمجتمع النوبة بالسويس، أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (أ) من الجيل الأول «في ناس لحد دلوقتى مشددين أن لازم نوبى يعنى ابن عمها ابن عمتها ابن خالها، مفيش يبقى نوبى على طول، جورباتى دا يلهوى بس دلوقتى في ناس لا عادى».

ويعتبر الاختيار للزواج من أبرز التحديات التي تواجه عملية التضامن الاثني لنوبيي السويس، حيث أثرت شبكة التحديث بشكل واضح، فهي تعتبر تغيرًا في معايير الاختيار للزواج، والتي لم تعد في الوقت الراهن اثنية أو قرابية، فقد أصبح من اليسير أن يحدث الزواج من خارج الجماعة الاثنية بالكامل أو كما قالت صاحبة الحالة الرابعة عشر من الجيل الثالث «الزواج من بره الجماعة النوبية بيحصل عادي دلوقتي». وبتحليل مضمون الحالة الخامسة عشر نكتشف أنه كان لشبكة التحديث دورًا هامًا في تشكيل السلوك الثقافي لدى صاحب تلك الحالة، حيث حدت علاقاته التقليدية من المستوى الأصغر، مقارنة بارتباطه بجماعة الرفاق واهتمامه بحياته الشخصية بمعزل عن الالتزام بضوابط الجماعة المرجعية النوبية، وأثر ذلك في ضعف معرفته بتاريخ الحضارة النوبية، إلا أن تلك الشبكات التقليدية قد نجحت في الإبقاء على حالة الاعتراف بالهوية في أقوى مستوياتها، حيث جمع صاحب تلك الحالة بين مؤثرات شبكة التحديث ومؤثرات الشبكات التقليدية، باعتبارها مرجعًا لسلوكهم الثقافي، وإن كانت شبكة التحديث قد طغت على عمل الشبكات الأخرى.

وتعتز صاحبة الحالة السابعة عشر من الجيل الثالث بالعادات والتقاليد النوبية وخاصة فيما يخص الأزياء والمأكولات، إلا أن التمسك بتلك العادات والتقاليد بات أمرًا صعبًا ولا يحدث بشكل منتظم، علاوة على أن المكان أو المجتمع السويسي قد تمكن من تطبيع نوبيي السويس

بحيث تتوافق عاداتهم وتقاليدهم مع ظروف الإقامة في المجتمع الحضري، خاصة وأن أغلب أبناء النوبة بالسويس هم من قرية أبوهور، الذين كانوا أكثر انفتاحًا على تبني قيم وتقاليد حداثية، بجانب الاعتزاز بثقافتهم وهويتهم النوبية، وكان الاختيار للزواج والتحدث باللغة النوبية من التراث النوبي الذي تعرض للكثير من التغيرات والتحولات وخاصة عند أبناء أبوهور المقيمين بالسويس، فلم يعد الإصرار على الزواج من نوبي أو نوبية أمرًا حاسمًا، أو ملزمًا كما أن الحفاظ على التحدث باللغة النوبية لم يعد أمرًا عامًا أو قائمًا بشكل واضح بخلاف أبناء القرى النوبية الأخرى المقيمة بالسويس، وإن كان التحديث قد أفاد صاحبة الحالة الثامنة عشر من الجيل الثاني من حيث الاستقرار في المدينة، والرضا عن المعيشة فيها مقارنة بالقرية النوبية، حيث يُسر الحياة في المدينة والانتقال فيها وسهولة الحصول على الخدمات، إلا أنه في نفس الوقت فإن التحديث قد أضر بالعلاقات الاجتماعية وثقة الناس في بعضهم البعض، كما قالت صاحبة تلك الحالة التي ترى أن أدوات التحديث وتكنولوجيا التواصل الاجتماعي لم تكن لها آثارًا اجتماعية جيدة باستثناء سرعة الاتصال، وأن الكثير من السلبيات والصراعات الاجتماعية قد انتقلت بطريقة أكثر ضراوة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ويحرص نوبيي السويس على التمسك بالعادات والتقاليد النوبية ولكن في إطار محدود، يقوم على الاحتفاء الرمزي والموسمي، وإعادة انتاج تلك العادات في المناسبات الاجتماعية، علاوة على أن تلك العادات والتقاليد قد اصطبغت بطابع ديني يجعل منها أمرًا مقبولًا ومعتادًا، وترى صاحبة الحالة التاسعة عشر من الجيل الثاني أن نوبيي السويس حملوا معهم وتوارثوا العادات والتقاليد النوبية الأصيلة غير أن طريقة ممارستها تتباين في السويس عنها في مجتمع الجذور؛ الأمر الذي يُمكّن نوبيي السويس من عملية التطبيع مع مجتمعهم المحلي بدون أية تمايزات بينهم وبين أي مكونات أخرى. الأمر الذي يدل على أن ثمة صور من الحفاظ على العادات والتقاليد النوبية، رغم عدم التمسك التام بتلك العادات والتقاليد، بل إن صاحبة الحالة العشرون من الجيل الثالث ترفض بعض العادات والتقاليد النوبية التي تعتبرها غير ملائمة لها ولثقافتها الحضارية مثل الأزياء والملابس النوبية التقليدية، وكان للأزمة الاقتصادية دورًا في تغيير بعض العادات والتقاليد في بعض الحالات من الجيل الثالث، خاصة طلب المساعدة والدعم من ذوي القربى والأرحام، حيث أفاد العديد من أصحاب حالات الجيل الثالث، عزوفهم عن اللجوء إلى أقاربهم وتفضيل اللجوء إلى الأصدقاء ومن يعرفونهم من زملاءهم الأقربين، مما يدل على أن قدرة حالات الجيل الثالث على

الاندماج مع المجتمع المحلي، وبناء نمط مختلف من العادات والتقاليد التي اعتاد عليها الأجداد والآباء.

وتعمل شبكة المؤسسات والروابط النوبية على تقديم خطاب ثقافي يتجه مباشرة إلى قلوب وعقول أبناء المجتمع النوبي، وتقوم معالم هذا الخطاب على شحذ معاني الاعتزاز بالفخر والهوية والحضارة النوبية، وتقوم المؤسسات والشبكات بإنتاج ذلك الخطاب عبر أدوات تنشئتها الاجتماعية والثقافية، سواء داخل الأسرة النوبية أو داخل الروابط وصور المناسبات والاحتفالات الجمعية، وتأتي صور التجمع والتواصل البشري المباشر عاملًا مهمًا في حيوية وبروز تلك الشبكات والروابط، والتي تحرص على إبقاء ذلك التجمع نشطًا، وتعمل على استغلال كل فرصة أو مناسبة اجتماعية من أجل زيادة كم وحضور أبناء تلك الشبكات والروابط إلى الأمر الذي يعني نجاح الخطاب الثقافي الذي تقدمه تلك الشبكات والروابط في تعبئه أعضاء ومنتسبي تلك الشبكات، والذين لا يشاركون بالضرورة في أغلب أنشطة تلك الشبكات بشكل مستمر، أو كما قالت صاحبة الحالة العشرون «بيحاولوا في الأعياد بيتجمعوا وبيعملوا أي حاجه ثقافية للأطفال». وأكد ذلك صاحب الحالة الثانية من الجيل الأول بقوله «بيعملو ندوات وبيجبو ناس من برا وبيتكلموا عن النوبة».

وتثبت الدراسة الميدانية أن عملية تطبيع العادات والتقاليد لنوبيي السويس، قد تُواجه بحالة من الاغتراب الثقافي، حيث تتفكك عملية الاندماج وتصبح قاصرة على مكون واحد من دون النظر إلى المكون الأساسي لمجتمع الجذور وثقافته، وكان واضحًا حضور معاني الاغتراب الثقافي للعديد من شباب الجيل الثالث لنوبيي السويس، أو كما قالت صاحبة حالة الجماعة البؤرية الثالثة (ب) من الجيل الثالث «كل الشباب الحديث مغيبين ما يعرفوش أي حاجة عن النوبة وعن الحياة، بقو زي الآلات منهمكين في الدروس والموبايلات». وتدل هذه العبارة على حجم الاغتراب الثقافي الذي يواجه الجيل الثالث من نوبيي السويس فلم تعد المشاركة الفاعلة لهم، والاهتمام بالجذور الحضارية والتاريخية لهويتهم تشغل اهتماماتهم وذلك نظرًا للتحديات الاقتصادية والتكنولوجية التي عزلتهم عن تلك القضايا الهامة.

وتمثل الأغاني النوبية جزءًا ومكونًا أصيلًا من الحضارة والفن النوبي، ويحرص نوبيي السويس من أبناء الجيلين الأول والثاني على تعليم وتعويد أبنائهم على الاستماع إلى تلك الأغاني، حتى تنمو لديهم مشاعر الاعتزاز بالهوية النوبية، ويكتسبون بعض العبارات والمعاني ومعاني اللغة النوبية، أو كما قالت صاحبة الجماعة البؤرية الرابعة (ب) من الجيل الثالث «أفراحنا من غير أغاني نوبية

ما لهاش لازمة أكيد». وبالرغم من أن صاحب الحالة الثانية عشر من الجيل الثاني لمهاجري السويس الذين وُلدوا ونشأوا بالسويس، قد تجاوز سن الخمسين من العمر وارتبط ارتباطًا كبيرًا بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في السويس، إلا أن ضعف الشبكة القروية والعائلية يظهر بين الحين والآخر لدى صاحب تلك الحالة، الذي ينتقد دائمًا أنماط الحياة الثقافية بالسويس، خاصة فيما يتعلق بالتغير في السلوكيات والقيم الاجتماعية لنوبيي السويس، أو كما قال صاحب الحالة الثانية عشر من الجيل الثاني «وجود النوبيين في غير مكانهم أساء ليهم كثير». وكان ثمة ارتباط بين الشبكة القرابية وشبكة المصاهرة والنسب، فصاحب الحالة الثانية والعشرون نجح في الجمع بين الشبكة القرابية وشبكة المصاهرة والنسب، ويرى صاحب تلك الحالة أن الزواج من غير نوبية يخلق العديد من المشاكل والتحديات الاجتماعية والثقافية

ويدرك نوبيي السويس أن الكثير من ملامح هويتهم ليست في أحسن حالاتها، حتى أن قيمة الزواج من نوبي أو نوبية رغم أهميتها فقد باتت في مهب الريح، وتعرضت لمؤثرات شتى غيرت من ثباتها وانتقالها للأجيال الأحدث، علاوة على أن اللغة النوبية قد ضَعُف التمسك بها إلى حد كبير، خاصة بين الأجيال الشابة، ومن ثم فإن التمسك بالهوية النوبية صار عند الحد الأدنى لها. وتطالب حالتي الجماعة البؤرية الثالثة (أ، ب) من الجيلين الأول والثالث، بأهمية أن تعمل المؤسسات النوبية على الاهتمام بتعبئة الشباب وعدم إهمالها له، خاصة فيما يخص الحفاظ على الهوية النوبية، وحماية أبناء المجتمع النوبي بالسويس من التفكك.

وتختلف معاني الاندماج الثقافي في المدينة عنها في مجتمع الجذور، ففي المدينة يدرك صاحب الحالة الثانية والعشرون من الجيل الثالث، أن جماعته هي جزء من المجتمع، وأن هناك قيم وتقاليد وسلوكيات متنوعة، ولا يمكنه فرض رأيه وقيمه عليها، حيث لابد من احترام التنوع وعدم التدخل في شؤون وقيم وتقاليد الآخرين، أو كما قال «أنا عايش في مجتمع لازم أطبّع بيه».

فالشبكات الاجتماعية لنوبيي السويس لم تنجح في الحفاظ على العادات النوبية الأصيلة بشكل كامل، حيث تأثرت ممارسة تلك العادات والتقاليد بشبكة التحديث والحياة العصرية لمدينة السويس، فمدينة السويس ليست كالقرية النوبية، حيثما كان من الصعب الاستمرار في الاحتفاء بالعادات والتقاليد النوبية كما كان يجري في النوبة (مجتمع الجذور)، حتى أن حضور تلك العادات والتقاليد في الميلاد والزواج والعزاء وغيرها صار يمارس على أضيق نطاق، أو كما قال صاحب الحالة الثانية عشر من الجيل الثاني «دلوقتي انحصر الكثير من العادات والتقاليد جوه البيت».

وكانت شبكة المصاهرة والنسب، والتي كانت أحد أهم مرتكزات جلب المهاجرين إلى السويس، علاوة على أنها كانت مصدرًا للقوى الاجتماعية الإثنية لنوبيي السويس من خلال الاستمرار لفترة طويلة في الحفاظ على الزواج من داخل الجماعة النوبية، بما يدعم فكرة النقاء الاثني، وبالرغم من التغيرات التي لحقت بفرص ومعايير الاختيار للزواج بين نوبيي السويس، إلا أن الثابت من تلك الدراسة الراهنة تسامح نوبيي السويس فيما يخص زواج الإناث من خارج الجماعة النوبية، في حين يتم التشدد على زواج الذكور من خارج الجماعة إلا أن صاحبة الحالة العشرون من الجيل الثالث تضيف إلى فكره النقاء الاثني موقفًا جديدًا للإناث فهي ترفض الزواج من خارج الجماعة النوبية، حيث تفضل الزواج من نوبي حتى لو أضطرها الأمر إلى العودة إلى النوبة ومغادرة السويس التي وُلدت ونشأت فيها.

وهو الأمر الذي يعكس مواقف العديد من حالات الجيل الثالث التي قد تتخذ قرارات غير متوقعة، نظرًا لطبيعة التحديات والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تقلل من فرص الاندماج الثقافي لها مع المجتمع المحلي والممارسات الثقافية السائدة به. ودائمًا ما تقارن الإناث حالات الدراسة من الجيل الثاني بين تماسك النظام الأسري داخل الجماعة النوبية، في مقابل تفككها وضعفها لدى الجماعات الأخرى، وتحتل هذه النظرة بروزًا واضحًا عند عملية المقارنة في عمليه التنشئة الاجتماعية والأسرية والحياة الاجتماعية بشكل عام داخل السويس.

وقد عملت شبكة التحديث بالسويس على التخلص من قضية النزاعات الاثنية، حيث ما تميز به نوبيي السويس هو الطابع المسالم، ولم تسجل لهم طوال إقامتهم الممتدة عبر القرن العشرين أية حالات نزاع أو عنف إثني مع مكونات المجتمع السويسي، وهو الأمر الذي يعكس قبول التنوع الحديث للمجتمع السويسي، وصور اندماجهم به والتي تماهت مع قبولهم التعايش مع مكونات المجتمع، وكذلك وجود آليات وسبل لضمان عدم وجود أيه نزاعات إثنية أو اجتماعية، وذلك بعكس الحال بالمجتمع النوبي بأسوان، حيث تبرز بين الحين والآخر نزاعات وخلافات إثنية ذات أسباب اجتماعية ليتحول البعض منها إلى عنف صريح. وتُظِهر حالات الجماعة البؤرية الخامسة (أ، ب، ج) أن نوبيي السويس لا يشعرون بالتنمر عليهم من حياتهم، خاصة أبناء الجيل الثاني، الذين قرروا أنهم لا يواجهون أيه مشاعر سلبية أو سلوكيات عدوانية من أي من مواطني السويس، كما لم تظهر أية حالات تشير إلى المعاناة من التمييز أو التنمر العنصري، وهو الأمر الغالب لدى حالات الإناث في هذه الدراسة.

جدول رقم (٢٣) يوضح الفروق بين الحالة المهنية في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة الدراسة

الاندماج الثقافي / الحالة المهنية	نمط الحياة اليومية يميل للزوق العام %				
	النوبي		يجمع بين النوبي وغير النوبي		النسبة
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
يعمل	١٣	%١٣,١	٨٦	%٨٦,٩	%١٠٠
لا يعمل	١٤	%١٥,٤	٧٧	%٨٤,٦	%١٠٠

وكان واضحًا أن شبكة التحديث قد نجحت بشكل كبير في تغيير معايير الزواج للبنت ذات التعليم المرتفع، وكذلك الذكر الثاني والثالث، في حين كانت معايير الزواج في النوبة القديمة شديدة الالتزام والانضباط، فلا تسمح بظهور أية فرصة للزواج من خارجها. أو كما قال صاحب حالة الجماعة البؤرية الأولى (د) من الجيل الثاني «إحنا زمان كان يقولك أنا أدي بنتي لواحد نوبي بيبيع جرجير ومديهاش لحد من برا». ولكن شبكة التحديث قد غيرت من ذلك الالتزام إلى حد ما.

واحتاج نجاح عملية الاندماج الثقافي لنوبيي السويس العديد من المعايير الاجتماعية والثقافية والتي تراعي قبول التنوع واحترام انتماء الآخر وثقافته، ولم يتم ذلك إلا عبر نجاح الجماعة في عملية التفاوض الثقافي، بحيث كان قبول ثقافتها في مقابل أن تخضع الجماعة النوبية لعملية تطبيع واسعة، وتم ذلك بدون قهر أو تصفية لثقافة الجماعة النوبية، حيث تكفلت شبكة التحديث بالقيام بتلك المهمة، ونجاح عمليه التفاوض وهو الأمر الذي كان واضحًا لدى حالات الجيلين الأول والثاني، والذين لم تصدر عنهم أية مشاعر بالاغتراب المكاني أو الثقافي، حيث نجحوا في الجمع بين الثقافتين ثقافة مجتمع الجذور وثقافة مجتمع الهجرة، غير أن حالات الجيل الثالث لم يتوفر لها ذلك النجاح بشكل كامل، ومن ثم واجهت مشكلة الاغتراب الثقافي خاصة وأنها لم تعايش الحياة في مجتمع الجذور، ولم تستفد كثيرًا من الإقامة بالسويس، حيث تدهور عمليات الحراك الاجتماعي والاقتصادي (فرص العمل) ساهمت بشكل كبير في تراجع مستويات اشباع الاحتياجات والقبول بالحياة في المدينة والإقامة بها، ومن ثم لم يمتلك الكثير منهم رؤية ثقافية محددة تجمع بين مجتمع الجذور ومجتمع السويس. حيث تزيد الاتجاهات السلبية عند الأصغر سنًا (الجيل الثالث) الأمر الذي يقلل ويعوق من فرص الاندماج الثقافي للشباب، وبشكل عام فان الاندماج الثقافي للتجمعات الاثنية يحتاج الانضواء تحت كتل جمعية ذات قوة مكانية وثقافية

ومؤسسية، كما قالت صاحبة الجماعة البؤرية الخامسة (ب) من الجيل الثاني «علشان عددنا كبر فقل التنمر». وهو الأمر الذي يشكل في أهميته العديد من حالات الجيل الثالث.

وليست المظالم الاجتماعية والثقافية التي يعاني منها صاحب الحالة الخامسة عشر من الجيل الثالث هي ذاتها التي قدمتها الحالات الأخرى أو كما قال «أنا مش بواجه أي عنصرية عن نفسي». ويمكن تفسير ذلك من خلال انخراط صاحب تلك الحالة في جماعة الرفاق والأصدقاء خارج شبكات الجماعة النوبية، كما أنه لم يبدي اهتمامًا كبيرًا بالتمايزات الفرعية الإثنية داخل الجماعة النوبية، وكان واضحًا اعتزازه بهويته النوبية العامة دون الاعتداد بأية هوية فرعية علاوة على ارتباطه بالسويس، وهو الأمر الذي يشير إلى تمكن صاحب الحالة من تجاوز الشبكات التقليدية وارتباطه بشبكات حديثة ليست على صلة بعلاقاته القرابية. ويقوم نمط السكن في المدينة على الفردية وتجاهل الآخرين، مما قد يترتب عليه بعض صور التنمر أو العنصرية في بعض الأحيان، حيث تعرض ابن صاحب الحالة الثامنة عشر من الجيل الثاني لأحد مظاهر التنمر العنصري في مدرسته، عندما أساء إليه زملائه التلاميذ في المدرسة بقولهم له يا أسود، وحاولت الأم أن تزيل آثار ذلك التنمر عن ابنها من خلال تمكينه من المقاومة الرمزية والقول له بأنه جيد وليس أمرًا قبيحًا يستحق التنمر أو الإساءة.

ولمعرفة الفروق بين بين متوسطات المجموعات في أحد أبعاد الاندماج الثقافي (تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي)، وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)، تم استخدام تحليل التباين الأحادي(ANOVA) One way analysis of variance والجدول رقم (٢٤) يوضح نتائج هذا التحليل:

جدول (٢٤) يوضح دلالة الفروق بين متوسطات المجموعات في أبعاد الاندماج الثقافي وفقًا للمتغيرات الأولية (الأجيال– الحالة الزواجية– الحالة التعليمية– الحالة المهنية)

البعد	المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	د. ح	التباين	قيمة ف	مستوي الدلالة
تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع	العمر الزمني	بين المجموعات	4.132	4	1.033	1.291	غير دالة
		داخل	147.979	185	.800		

	المجموعات						
	المجموع	152.111	189				
الحالة الزواجية	بين المجموعات	1.200	3	.400	.493	غير دالة	
	داخل المجموعات	150.910	186	.811			
	المجموع	152.111	189				
الحالة التعليمية	بين المجموعات	7.665	2	3.833	4.962	٠.٠٥	
	داخل المجموعات	144.445	187	.772			
	المجموع	152.111	189				
الحالة المهنية	بين المجموعات	1.756	3	.585	.724	غير دالة	
	داخل المجموعات	150.355	186	.808			
	المجموع	152.111	189				

أ- لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة الجيلية وتطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي، أي أن الحالة الجيلية لا تؤثر علي تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي.

ب-لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة الزواجية وتطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي، أي أن الحالة الزواجية لا تؤثر علي تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي.

ج- ثمة فروق ذات دلالة إحصائية بين الحالة التعليمية وتطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي، عند مستوي دلالة ٠.٠٥، مما يؤكد أن عامل الحالة التعليمية يؤثر علي تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي

د- لا توجد فروق ذات دلالة بين الحالة المهنية وتطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي، أي أن الحالة المهنية لا تؤثر علي تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي.

وتدل هذه النتيجة الاحصائية على عدم وجود مَغذي يخص الحالة الجيلية والحالة الزواجية والحالة المهنية علي تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي، حيث أكدت الغالبية العظمى من حالات الدراسة بمختلف حالاتها الجيلية والزواجية والتعليمية والمهنية على تطبيع العادات والتقاليد النوبية لتناسب ظروف المجتمع المحلي، وتقبله لتلك الممارسات وعدم استهجانه لها، على سبيل المثال فقد توقفوا عن ممارسة العديد من الفنون والصور الشعبية المعتادة في النوبة القديمة، مثل ارتداء الأزياء والملابس النوبية التقليدية سواء الذكور أو الإناث في الحياة اليومية، علاوة على التوقف عن ممارسة بعض الفنون المعتادة في مناسبات حفلات الزفاف، مثل وصلة فن الكف. كما أن العديد من العادات النوبية أصبح يُمَارس وفقًا لضرورات المعيشة الاقتصادية في المدينة (السويس)، علاوة على صعوبة تنفيذها في الواقع كما كان يجري في النوبة القديمة، مثل الاحتفال بالميلاد بتغطيس الطفل في نهر النيل، إضافة إلى السماح لبعض الحالات وخاصة الإناث الزواج من خارج الجماعة النوبية.

ثالثًا: استخلاص نتائج الدراسة

تتميز هجرة النوبيين إلى السويس بالطابع المنظم، فلم تحدث في ظروف أزمة تهجير الجماعة النوبية عام ١٩٦٤ عمليات هجرة واحدة إلى السويس من النوبة، فقد حافظوا على مكونات المجتمع النوبي القائم ولم يعرضوه للتغيير أو لقبول إثنيات فرعية نوبية أخرى، أو حتى تكوينات عائلية وقروية نوبية متنوعة، الأمر الذي يشير إلى مساحة الضبط التي مارستها شبكات المهاجرين لنوبيي السويس، علاوة على أن تلك الشبكات تمثل الأجيال التي هاجرت بشكل إرادي وحر إلى السويس قبل ١٩٦٤، ومن ثم فهم أكثر قناعة بقرار الهجرة الذي اتخذه الأجداد والآباء. **وفيما يلي سنعمل على عرض النتائج العامة للدراسة طامحين في ذلك الوصول إلى الإجابة عن تساؤلات الدراسة، وكذا حل المشكلة الرئيسية للدراسة.**

السؤال الأول: ما دور شبكات الهجرة في عملية التفاوض على الهوية بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي؟

١-أكدت الراسة الميدانية أن كل شبكات المهاجرين النوبيين بالسويس ترتبط بمسألة الهوية، حيث تعمل كل شبكة منها على تحديد علاقة نوبيي السويس بهويتهم، وتأتي اللغة في مقدمة عناصر ومكونات الهوية، فإذا كانوا يفخرون بهويتهم وجذورهم الحضارية والتاريخية ولغتهم الكنزية، فإنهم في نفس الوقت لم يتمكنوا من المحافظة عليها، حيث عملت شبكات عديدة على اشتراط اندماجهم الثقافي في مقابل تنازلهم عن بعد مكونات هويتهم، وفي تلك الأثناء فقدوا ارتباطهم بلغتهم.

٢-وتأتي تلك النتيجة تأكيدًا للدور الذي تلعبه الشبكات الاجتماعية لنوبيي السويس في التفاوض على هويتها، أملًا في ادماجها في المجتمع المحلي، فشبكات التحديث كانت أقوى تلك الشبكات التي هددت اللغة النوبية، ولم تمنح نوبي السويس أيه فرصة للجمع بين لغتهم أو الحفاظ على قدر معقول منها، ولغة المجتمع المحلي.

٣-أكدت الدراسة الميدانية أنه لم تكن هناك فرصة لتعلم اللغة النوبية سواءً في الأسر أو المؤسسات والروابط النوبية، كما أن العادات والتقاليد لا تُمَارس في السويس بشكل عام كما كان الأمر في مجتمع النوبة بأسوان، ولكنها تمارس في سياق اجتماعي وثقافي محدد وبشكل محدود، ليس على غرار ما كان يحدث في الماضي في المجتمع النوبي في الأفراح أو المناسبات الاجتماعية التقليدية داخل الأسرة.

٤-ثبت من الدراسة الميدانية أن حالات الجيل الأول، والتي كانت أكثر اندماجًا في الحياة الاجتماعية والثقافية في السويس، كانت أكثر قدرة على التفاوض على بعض ملامح الهوية مثل اللغة وممارسة بعض العادات والتقاليد، علاوة على حلم العودة إلى النوبة القديمة، واستمرت حالات الجيل الثاني في النجاح في عملية التفاوض الثقافي مع المجتمع المحلي، حيث تمكنت من ترسيخ قواعدها الاجتماعية وقبول طابعها الثقافي العام، في نفس الوقت استدمجت الطابع الثقافي والاجتماعي الخاص بالمجتمع المحلي السائد به، ولم تدخل معه في أية صراعات أو نزاعات تخص الهوية أو تناقضات ترتبط باللغة وأساليب التواصل الاجتماعي والثقافي، وكانت حالات الجيل الثالث فاقدة للمعاني الاجتماعية والثقافية التي تمكنها من الاندماج الثقافي، فهي تشعر بالاغتراب الثقافي داخل شبكاتها المرجعية (الشبكة القرابية والقروية، شبكة المؤسسات والروابط النوبية) وفي

نفس الوقت لا تجد لها مكانًا ملائمًا في المجتمع المحلي، نتيجة تدهور مساحة الفرص الاجتماعية والثقافية وفرص التعبير عنها، ومن ثم يمكن القول أن شبكات الهجرة كانت فاعلة لدى حالات الجيلين الأول والثاني، حيث نجحت عملية التفاوض على الهوية الثقافية في نزع معاني الاغتراب والصراع الثقافي مع المجتمع المحلي، إلا أنه في نفس الوقت تنازلت الجماعة النوبية عن الكثير من ملامح هويتها حتى يتسنى لها النجاح في عمليه التفاوض، وكانت شبكة التحديث هي العامل الرئيس في نجاح عملية التفاوض الثقافي، ووجد الجيل الثالث نفسه قد وصل إلى المحطة الأخيرة في عمليه التفاوض الثقافي، والتي لم يكن ممكنا أن يتخذ قرارًا في شأنها أو مسيرتها، في نفس الوقت لم تكن مكانته في شبكاته المرجعية مؤثرة ومُرضية له، وتم ذلك في سياق كانت شبكات الهجرة قد فقدت قوتها الاقتصادية والثقافية فيما يخص حالات الجيل الثالث.

٥-أقرت أغلب حالات الدراسة بالمستقبل الغامض الذي ينتظر اللغة النوبية، حيث يتحدثون عنها بِأَسىَ شديد، فهم لا يملكون القدرة على استعمالها في الحياة اليومية، نظرًا لعدم معرفتهم بها، علاوة على حرصهم على ولوج أبنائهم في مؤسسات التحديث، مثل التعليم والعمل والتفاعل الاجتماعي والثقافي مع المجتمع المحلي، الأمر الذي يزيد من غربتهم عن لغتهم النوبية، وتقلص الأمر إلى استخدام الكلمات والعبارات البسيطة التي تنتقل عبر الأجيال من غير أن تكون هناك لغة مستقرة تم تداولها وتعلمها.

٦- كانت عملية الاعتزاز باللغة النوبية ونشرها بين الأجيال الأحدث من أهم ملامح الاعتراف التي كان يود نوبيي السويس أن تستمر لديهم، إلا أن جميع حالات الدراسة أقرت بالفشل الذريع في تعلم اللغة النوبية والحفاظ على استمرارها وقوتها، ولم يتبقى من اللغة النوبية غير اسمها وبعض العبارات البسيطة المتداولة، حيث ضعف البعد الثقافي لصالح البعد الإثني والمكاني، أي مجتمع الجذور من دون القدرة على تقديم أنفسهم عبر ممارسات ثقافية تؤكد أهمية اللغة والحرص على بقائها للأجيال الأخرى.

٧-إتفقت أجيال نوبيي السويس على الارتباط بشبكات التحديث، والإقامة في المدينة وعدم الرغبة في مغادرتها، إلا أنهم في نفس الوقت قد فقدوا العديد من ملامح جذورهم وهويتهم التاريخية، وعلى رأس تلك الملامح كانت اللغة النوبية الكنزية، وقد لاحظ الباحثان أن ثمة قدرًا من استخدام وشيوع المصطلحات النوبية بين نوبيي السويس، والتي كانت متوارثة إلا أنه في الواقع كانت محدودة، ولا تعبر عن اتقان وإجاده متماسكة باللغة النوبية.

٨-كانت حالات الجيل الثالث حريصة على أن تؤكد على مشكلات نزع الهوية التي تعرضوا لها، الأمر الذي أثر على ضعف معرفتهم ووعيهم بلغتهم النوبية، أو تاريخ جذورهم وحضارتهم القديمة، حيث كانت الشكوى الرئيسية لدى الجيل الثالث تقوم على عدم الاهتمام السياسي بإحياء الهوية النوبية ومواردها الثقافية المختلفة وفي مقدمتها اللغة والانتماء النوبي.

٩-كانت النزعة القومية التي سادت في المجتمع المصري منذ الستينيات من القرن العشرين قد أدت إلى خلق روح معادية للتنوع القومي والإثني، الأمر الذي أصاب المجتمع المصري بصور عديدة من العزل والاستبعاد الثقافي علاوة على محاولة العديد من الأقليات العمل على تحقيق أعلى درجات التماثل الاجتماعي، وهذا ما نجده فيما يخص الدراسة الراهنة، حيث سعى نوبيي السويس إلى الانصهار في الثقافة القومية، والتنازل عن التمسك بتعليم أبنائهم اللغة النوبية ومن ثم ضَعُفت تلك اللغة عند الأجيال الناشئة.

١٠-وفيما يتعلق بعملية التفاوض على الهوية النوبية وعملية الحفاظ عليها، كانت اللغة النوبية في مقدمة عناصر تلك العملية وكان واضحًا سيطرة مشاعر الأَسىَ والفقد نتيجة ضعف ارتباطهم باللغة النوبية بل وجهلهم بها، ويبدو أن إهمال اللغة النوبية كان نتيجة الاندماج في شبكة التحديث مثل التعليم والعمل والتفاعل الاجتماعي وهو الأمر الذي تحقق في عملية التفاوض الثقافي أو التنازل الذي قدمته الجماعة النوبية حتى يتسنى لها القبول والاندماج الثقافي في مجتمع الهجرة بعكس مجتمع الجذور الذي تزيد فيه قوة عمليات الممارسة باللغة النوبية والحفاظ عليها.

١١-ثبت من الدراسة الميدانية الدور الذي تلعبه كثافة الشبكة العائلية والقروية في تحقيق الاندماج الثقافي، فكلما كانت تلك الشبكة كبيرة الحجم في تواجدها بالسويس، كلما أدى ذلك إلى ارتباط نوبيي السويس بالمدينة ونمط الحياة بها، في نفس الوقت عمل ذلك على التقليل من الارتباط بمجتمع الجذور وزياده عمليات التفاوض الثقافي ونزع الهوية.

١٢-أكدت الدراسة الراهنة أنه كلما كانت الهجرة إلى السويس تتم بشكل مبكر، علاوة على كبر حجم الشبكة العائلية والقروية المقيمة بالسويس، فان عملية الاستجابة والتماثل الثقافي مع التحديث تتم بشكل أسرع وأكثر وضوحًا، وبما يفرض معاني نزع الهوية في مقابل الاندماج الثقافي، حيث تميل كفة التفاوض على الهوية لصالح ضعف العديد من صورها المهمة وخاصة اللغة والارتباط بالتاريخ والهوية الحضارية والثقافية.

١٣-أثبتت الدراسة الميدانية أن الجيل الثالث وخاصة حالات صغار السن تزداد عدم معرفهم بالعديد من صور الهوية النوبية خاصة اللغة والتاريخ النوبي، الأمر الذي يزيد من صور نزع الهوية،

وضعف الارتباط بمجتمع الجذور، وصور التواصل الثقافي معه، حيث يميل أغلبهم إلى استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والتواصل مع الآخرين من خارج الجماعة النوبية.

١٤-كان واضحًا من نتائج حالات الدراسة أن ثمة انقطاعًا وتوقفًا في عمليات نقل المعلومات الثقافية بين الأجيال خاصة اللغة النوبية الكنزية والتواصل مع مجتمع الجذور.

السؤال الثاني: ما دور شبكات الهجرة في عملية الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس؟

١- ثبت من الدراسة الميدانية أن حالات الجيل الثالث لم يتبقى لها من مكونات الهوية النوبية إلا مظاهرها البسيطة، والتي قد لا تتجاوز الانطباعات العامة وتقديم الشخص نفسه للآخرين على أنه نوبي، من دون أن يعكس ذلك ممارسات ثقافية تربط مفهوم الهوية بالحياة الاجتماعية والثقافية للشخص.

٢-أكدت الدراسة الميدانية أن الأجيال الثلاثة جميعها تتفق على المطالبة بحق العودة، وذلك على الرغم من إقرار العديد منهم بصعوبة العودة الفعلية والاستقرار الدائم هناك، واذا كانت المطالبة بحق العودة إلى النوبة القديمة لا تعبر فقط عن مطالب سياسية أو اجتماعية، حيث إنها تمثل بُعدًا ثقافيًا، حيث الانتماء المكاني إلى مجتمع الجذور والرغبة في إعادة إنتاجه وتجسد نمط وطبيعة الحياة الجارية بها، وبما يكوّن الكثير من ملامح الهوية النوبية ويؤكدها، وكانت الدراسة الميدانية قد كشفت عن إدراك الأجيال على اختلافها وتنوعها أهمية العودة إلى النوبة القديمة باعتبارها مطلبًا ثقافيًا قبل أن يكون اجتماعيًا أو سياسيًا، إلا أن تلك الرغبة في العودة لا ترتبط بإجراءات فعلية، أو خطوات حقيقية إلى العودة أو المعيشة هناك، فقد أوضحت جميع حالات الدراسة أنها أصبحت أكثر تكيفًا وارتباطًا بالمجتمع المحلي، علاوة على أن مجتمع النوبة القديمة لم يعد مناسبًا أو مُهيئًا للحياة الاجتماعية والاقتصادية به.

٣-لعبت شبكة المؤسسات والروابط النوبية دورًا هامًا في تقنين الاعتراف بالهوية ونقله من المستوى الشخصي وغير الرسمي إلى المستوى المؤسسي، حيث اتضحت الأوزان النسبية للعائلات والقرى النوبية الأكثر تأثيرًا وحضورًا في مجتمع السويس، لذا يُعَد المكون العائلي والقروي من أبرز معاني الهوية الجمعية في الحصول على الاعتراف بها، والظهور عبرها أمام المجتمع والآخرين، الأمر الذي حدد القوى الاجتماعية المسيطرة على تلك المؤسسات تبعًا للخريطة العائلية والقروية التي هاجرت إلى السويس بشكل جمعي، وملأت فراغه الاجتماعي والثقافي بها، ومن هنا يظهر لدينا أهمية الدور المؤسسي في تأكيد الاعتراف بالهوية، خاصة أبرز مكوناتها العائلية والقروية، والتي مثلت

مصدرًا للقوة الاجتماعية والسياسية، فإنها تضيف مصدرًا للقوة والمكانة الثقافية لأصحاب تلك الهوية عند تقديم أنفسهم إلى المجتمع المحلي والآخرين.

٤-واذا كان نوبيي السويس يسعون فيما يخص بناؤهم الاجتماعي إلى تحقيق أقصى درجة من الاعتراف بهويتهم ومكانتهم الثقافية والاجتماعية، فإن هذا الاعتراف لا يكتمل إلا عبر شبكة الروابط المؤسسات النوبية، حيث ثبت من الدراسة الميدانية أهمية الدور الذي تلعب تلك الشبكة في مخاطبة المجتمع المحلي، وقواه الفاعلة وبما يضيف رصيدًا من الثقة والقوة والمكانة الثقافية لنوبيي السويس واعتبارهم أبناء حضارة عريقة وجماعة اجتماعية وثقافية متماسكة ومتضامنة معًا في كل الحالات.

٥-نجح نوبيي السويس في تدشين بناء هوية مكانية جديدة تضاف إلى هويتهم الأصلية، حيث الارتباط بالمكان (السويس) والجمع بينه وبين النوبة القديمة بشكل متكافئ، وهو الأمر الذي كان واضحًا لدى أغلب الحالات من مختلف الأجيال، حيث عبروا عن ارتباطهم بنمطين من أنماط الهوية الثقافية، الهوية المكانية للنوبة القديمة، والهوية المكانية لمجتمع السويس.

٦-ثبت من الدراسة الميدانية أن ثمة علاقة واضحة بين المكان، وصور ودرجة الاعتراف بالهوية الثقافية، حيث كان واضحًا تمكن نوبيي السويس من الفخر بجذورهم وأصولهم النوبية بدون أي حرج قد يواجهونه في مجتمع آخر، وهو ما يعكس حالة الاندماج الثقافي للجماعة النوبية بالسويس، حتى أن حالات الإناث من الأجيال الأول والثاني والثالث لم تسجل أية مشاعر عنصرية، أو تمييز إثني أو استبعاد بسبب اللون في حياتهم بالسويس. وهو الأمر الذي يؤكد نجاح نوبيي السويس في تحقيق درجة كبيرة من الاعتراف الثقافي، مما مكنهم من التعبير عن ثقافتهم وهويتهم بحرية أكبر من أي مكان آخر.

٧-أكدت الدراسة الراهنة على انخفاض الاستجابات المعبرة عن التمييز والتنمر الاثني لدى حالات الإناث بشكل عام، وحالات الذكور التي حققت قدرًا معقولًا من الاندماج الاجتماعي والاقتصادي، من حيث فرص العمل والدخل المستقر والمسكن الخاص، بينما يزداد التعبير عن التمييز والتنمر الاثني لدى حالات الذكور من الجيل الثالث خاصة الذكور الذين لم يتحقق لهم مستويات من الاشباع الاجتماعي والاقتصادي بشكل ملائم.

٨-أكدت حالات الدراسة من مختلف الأجيال أن درجة الاعتراف الثقافي تعكس الموقف من الشعور بالتمييز والتنمر الإثني، وكانت حالات الجيلين الأول والثاني أكثر قبولًا من المجتمع المحلي، الذي لم يمثل له مشكلة ثقافية أو اجتماعية، ومن ثم فإن معاني وصور التمييز الإثني لم تكن

واضحه لديهم، حيث نجحوا في تحقيق درجات مرتفعة من الاعتراف بهم وبمكانتهم الاجتماعية والثقافية، ومن ثم تقلصت أية إشارة تدل على التمييز الاثني، غير أن حالات الذكور من الجيل الثالث قد أكدت على مواجهتها بعض صور التمييز الإثني، وهو الأمر الذي يرتبط بمحدودية ومستويات درجات الاعتراف التي نجحوا في تحقيقها، حيث إن مساحة الفرص الاجتماعية والاقتصادية التي أُتيحت لهم كانت محدودة، ومن ثم واجهوا مشكلات في اثبات مكانتهم وهيبتهم الثقافية.

٩-تتفق الجماعة النوبية بالسويس على عملية الانتقال من دوائر الهوية الأضيق إلى الأوسع، فاذا كان الانتماء القرابي أو الاثني القروي هو المسيطر على التنظيم الاجتماعي والمؤسسي لنوبيي السويس، فإن الانتماء الإثني العام للجماعة النوبية على تنوع إثنياتها يعد حاسمًا. حيث تشير الدراسة الميدانية أن ثمة درجة من الاعتراف الثقافي تختلف وفقًا لطبيعة الجمهور المتفاعل مع الشخص، أو الجماعة فالدوائر الأضيق من الهوية التي تدور حول القرابة أو المشترك القروي، ويرتبط الظهور فيها في مساحات ضيقة، مثل الشبكة العائلية والقروية القائمة بالسويس، بينما يحتاج الاعتراف بالهوية على المستوى المحلي إلى توسيع دائرة الانتماء، حيث يُعرف الشخص بأنه نوبي ولا يقدم نفسه وفقًا لدوائر ومساحات ضيقة، وهو الأمر الذي اتفقت فيه أغلب حالات الدراسة من مختلف الأجيال، حيث ارتباط الاعتراف ومساحة التعبير عنه بطبيعة المجتمع والإطار الذي يوجد فيه الشخص والجماعة.

١٠-أكدت الدراسة الميدانية أن حالات الجيل الثالث ترتبط بتحقيق الاعتراف بهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي الافتراضي بشكل أكبر من التفاعل الاجتماعي المباشر الحقيقي، الأمر الذي يؤثر على طبيعة الجمهور الذي يسعون إليه، ولم يعد ذلك الجمهور المجتمع المحلي بشكل محدد، الذي يتعاطى معه أبناء الجيلين الأول والثاني، ومن ثم فإن ثمة تغيرًا في درجة الاعتراف والحاجة إلى تحقيقه في المجتمع المحلي.

١١-أظهرت الدراسة الميدانية أن الهوية الثقافية المركبة والتي تجمع بين الهوية الأصلية؛ حيث مجتمع الجذور، وهوية المجتمع المحلي، كانت من أبرز صور الاعتراف الثقافي لدى الجيلين الأول والثاني، حيث تجيد وتتفق حالات الجيلين الأول والثاني استخدام تلك المكونات وفقًا لطبيعة الجمهور المتلقي، فالمجتمع المحلي له هويته، وفي نفس الوقت فإن تلك الهوية المحلية ترتبط بخصوصية ثقافية تحضر بشكل كبير وواضح، أما حالات الجيل الثالث فإنها لا تستطيع أن تقدم بكفاءة تلك الهوية المركبة في سلة واحد.

١٢-أثبتت الدراسة الميدانية أن حالات الجيل الثالث لاترتبط بشكل كبير بشبكة الروابط والمؤسسات النوبية، حيث يحرصون على التعبير عن هويتهم وتحقيق الاعتراف بها في مساحات أخرى أكثر مرونة وديناميةوارتباطًا بفاعلين آخرين ليسوا على صلة قرابية أو إثنية بها، ومن ثم فإن حالات الجيل الثالث لايحرصون على الاعتراف المتبادل بينهم وبين المجتمع المحلي، كما يحرصون على تحقيق الاعتراف المتبادل بينهم وبين نظرائهم الذين يرتبطون بهم بشكل إرادي وحر.

١٣-أثبتت متابعة حالات الدراسة أن ثمة ارتباطًا بين حالة الاعتراف الثقافي التي ينجح نوبيي السويس في تحقيقها داخل المجتمع المحلي، ومستوى الاندماج الثقافي الذي يصلون إليه خاصةً فيما يخص حالات الجيلين الأول والثاني، والذين نجحوا في بناء مساحات قوية من الاعتراف الثقافي بهم وبمكانتهم وتاريخهم القديم، الأمر الذي زاد من قبولهم واندماجهم بثقافة المجتمع المحلي، بعكس حالات الجيل الثالث التي كانت أقل اندماجًا وارتباطًا بثقافة المجتمع المحلي بعاداته وتقاليده نظرًا لعدم تحقيق نجاحات كبيرة في تحقيق الاعتراف بهم.

١٤-أكدت الدراسة الميدانية تمتع أبناء الجيل الأول بقدرة عالية على التضامن الاجتماعي والإثني، في نفس الوقت الذي تمكنوا فيه من الاندماج في المجتمع الجديد، الأمر الذي مكنهم من تنشيط وتفعيل شبكات جلب المهاجرين من الأقارب والأهل والأصهار الذين كانوا يعيشون في النوبة القديمة، الأمر الذي زاد من قوتهم الاجتماعية وتأثيرهم في المجتمع السويسي ومن ثم حصولهم على الاعتراف والتقدير.

السؤال الثالث: ما دور شبكات الهجرة في تدعيم رأس المال المكاني لنوبيي السويس؟

١-لعبت شبكة التحديث دورًا هامًا في بناء راس المال المكاني، وتعزيز قوته، حيث استفادت حالات الجيلين الأول والثاني من الفرص الاجتماعية والاقتصادية والتي كانت بمثابة حراك اجتماعي كبير مقارنة بالإقامة في مجتمع الجذور، بينما كان ضَعف الفرص الاجتماعية والاقتصادية لحالات الجيل الثالث عاملًا في تدهور رأس المال المكاني لدى ذلك الجيل، ويختلف الحضور والمعنى الاجتماعي لكل شبكة من شبكات الهجرة وفقًا لاختلاف الأجيال؛ فالجيل الأول والثاني يتأثران بشكل واضح بالشبكات العائلية والقروية والمصاهرة والنسب والمؤسسات والروابط النوبية فيما يخص تعزيز وتنمية رأسمالهم المكاني، حيث صارت أكثر ارتباطًا بالإقامة في السويس وعدم الرغبة في مغادرتها وذلك بخلاف حالات الجيل الثالث، والذي لم يشعر بالارتباط العضوي بينه وبين

شبكات الهجرة علاوة على تضرره من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والتي لم تقدم له أية مزايا أو فرص اجتماعية ملائمة.

٢-ثبت من الدراسة الميدانية عند المقارنة بين أجيال المهاجرين، أن الجيل الثالث المولود في السويس كان رأسماله المكاني مقتصرًا على تجربة التنشئة والحياة والتعليم في السويس، فهو لم يضطلع على مجتمع الجذور، ولم يعايش طبيعة الحياة فيه، إلا عبر رؤى ثقافية بحتة تصور له جمال الحياة وأصالتها في النوبة القديمة، الأمر الذي يجعل العديد من حالات الجيل الثالث عازمةً على التفكير في الهجرة إلى النوبة في أسوان، أو حتى أي مكان آخر تتاح فيه فرص اقتصادية واجتماعية ملائمة، فلم يعد الارتباط بالمكان حاسمًا لدى حالات الجيل الثالث، كما هو الحال لدى حالات الجيلين الأول والثاني، حتى أننا أثناء الدراسة الميدانية قد رصدنا حالات من الجيل الثالث قررت فعلًا العودة إلى النوبة خاصة بغرض الزواج، فمشكلات الحياة والإقامة في بيئة حضرية معقدة تواجه شباب الجيل الثالث بأزمات متتالية يصعب حلها، بينما يتمتع الجيلين الأول والثاني بهامش ملائم من القدرة على إدارة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتكيف مع صعوبات الإقامة والتفاعل الاجتماعي.

٣-يتأثر رأس المال المكاني بالفرص الاجتماعية والاقتصادية التي تتاح للفاعلين، فالأوضاع البنائية المسئولة عن فرص توزيع الثروة والحراك الاجتماعي والاقتصادي تعمل على تغيير المواقف الاجتماعية والثقافية من حيث الاستقرار أو الهجرة من المكان، فلم يعد الارتباط بالمكان علاقة حتمية خاصة لدى حالات الجيل الثالث التي تواجه مصاعب اقتصادية واجتماعية تنزع منهم الرغبة في الاستقرار في المكان، وتوجههم إلى الهجرة منه خاصة مع مشكلات الحراك الاجتماعي والطبقي التي بدأت تضغط عليهم بشكل واضح مقارنة بحالات الجيلين الأول والثاني والذين اتسمت علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية بالتجانس والتقارب والقدرة على حل وتقليص التناقضات والفجوات الاجتماعية والاقتصادية.

٤-لم تشهد الجماعة النوبية المهاجرة إلى السويس تميزًا وصراعًا طبقيًا في جيلها الأول والثاني، فقد ظهرت تلك الصراعات والعلاقات الطبقية عند توقف شبكات الهجرة عن العمل، نتيجة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية العامة، والتي هددت فرص توزيع الثروة على قطاعات واسعة من المهاجرين، ومن ثَم تبلور الوعي الطبقي مع تنامي تلك التحديات في الحراك الاجتماعي.

٥-أكدت الدراسة الميدانية أن المشكلات التي تواجه رأس المال المكاني في حالات الجيل الثالث، تعمل على إضعاف ارتباطهم بالشبكات الاجتماعية للمهاجرين، والتي كانت فاعلة ونشطة لدى

حالات الجيلين الأول والثاني، فلم يعد الالتزام والضبط المعياري فاعلًا لدى حالات الجيل الثالث، التي لم تعد ترتبط بالمكان (السويس) كما هو الحال في الجيلين الأول والثاني.

٦-كان الجيل الأول لنوبيي السويس مُحددًا لنمط هجرته من النوبة إلى السويس بطريقة إرادية حرة، خاصة أنه الجيل الذي هاجر قبل بناء وتشغيل السد العالي، ومن ثم كان اختيارهم للهجرة إلى السويس مبنيًا على اختيارات حرة محضة، وكان محركها الأساسي يقوم على عاملين اثنين الأول: هو توفر نواة لشبكة اجتماعية من ذوي القربى والأرحام، الثاني: توفر فرص عمل جيدة تمنح أجورًا مرتفعة وحياة أفضل، كما كان الحال في النوبة القديمة، ومن ثم فإن فرص كبيرة قد أتيحت لهذا الجيل كي يحوز رأسمال مكاني يتم تنميته باستمرار، حيث الارتباط بالمكان –أي السويس– والانتماء إليه وبما يحقق معادلة مهمة تقوم على ترتيبه لرأس المال المكاني (السويس) حيث الإقامة والعمل والنوبة القديمة، وحيث الجذور والفخر والاعتزاز بالأصل والحضارة القديمة، وتسربت تلك القيم وأثرت في توجهات حالات الجيل الثاني، الذين لم يفكروا في العودة، وارتبطوا بالمكان (السويس) بل وعملوا على تنمية رأسمالهم المكاني عبر توسيع وزيادة مؤسساتهم وروابطهم(بناء وتوسيع النادي النوبي وبما يشمله على عدة أجهزة وتنظيمات)، وبالتالي حضورهم وتأثيرهم في مجتمع السويس، ولما كانت حالات الجيل الثالث هي التي وُلِدت في السويس لم تواجه أية تجارب لاختيار الهجرة إليها بطريقة حرة أو قسرية، فإنها لم تُظهِر أية نوايا للاحتفاظ المطلق بالارتباط بالمدينة، بل كانت دوافع الهجرة التي تؤثر في طموحاتها واضحة من أجل تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، على الرغم من أن العديد من حالات الجيل الثالث أظهرت قبولًا وانتماءً للمكان، إلا أنها عجزت عن القيام بأية أدوار جديدة أو بناء مؤسسات تضاف إلى ما قام به الجيلين الأول والثاني، ومن ثم كان التطلع إلى البحث عن فرص أفضل شاغلًا أساسيًا لحالات الجيل الثالث.

٧-ولما كان الاتصال والنجاح في بناء قنوات اتصال فاعلة من الصور الهامة والرئيسية لرأس المال المكاني، فإن الدراسة الميدانية تعكس صور رأس المال المكاني التي نجحت الجماعة النوبية في السويس في استثمارها، فقد كان نجاح الجيلين الأول والثاني واضحًا في عمليه التواصل مع المجتمع المحلي، سواء كان التواصل غير الرسمي بين الأفراد باعتبارهم أعضاء في تنظيمات ومؤسسات مهنية وعمالية وسياسية، أو التواصل الرسمي عبر المؤسسات والروابط النوبية، وقد كانت مهمة الجيل الأول والثاني موفقة إلى حد كبير، حيث عملت شبكة الاتصال التي أسسوها على زيادة قوتهم الاجتماعية والسياسية، بحيث صاروا جماعة مهمة على خريطة القوى الاجتماعية والسياسية

المحلية، لكن حالات الجيل الثالث لم تهتم بفتح قنوات الاتصال مع المجتمع المحلي بذات القدر الذي نجح فيه الجيلين الأول والثاني، واكتفت حالات الجيل الثالث باستخدام ذات الموارد التي كانت موجوده سلفًا بدون أن تضيف إليها شيئًا جديدًا، علاوة على أن اتصالها بالمجتمع المحلي كان محدودًا وقائمًا على الشك وعدم اليقين في معظم الأحوال، بعكس حالات الجيلين الأول والثاني.

٨-أثبتت الدراسة الميدانية أن الجيلين الأول والثاني هم أقل طلبًا للعودة إلى النوبة القديمة، وإن كانوا لا يكفون عن مطالبهم بمنحهم أرض في النوبة القديمة مرة أخرى.

٩-أكدت الدراسة الميدانية أن الشبكة العائلية والقروية كانت داعمًا أساسيًا للنمو والاستثمار في رأس المال المكاني، فقد زادت تلك الشبكة بارتباط حالات الجيلين الأول والثاني بالإقامة والتواصل والانتماء إلى السويس، حيث عمل وجود تلك الشبكة على زيادة الرغبة في عدم التفكير في العودة مرة أخرى إلى النوبة والاكتفاء بالزيارات أو الرحلات السنوية ذات الطابع الاجتماعي البحت، حيث زيارة ما تبقى من الأهل والأقارب وتمضية وقت بغرض الترفيه في مكان مختلف، بينما أوضحت حالات الجيل الثالث أن ارتباطهم بالشبكة العائلية والقروية ليس في أحسن حال، فهي لديها خياراتها المتنوعة والمتعددة في الاتصال مع شبكات أكثر دينامية واستقلالية، هذا علاوة على اهتمامها بتكوين علاقات اجتماعية وثقافية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وبما يمنحهم حرية واستقلالية أكثر من اتصالهم بذوي القربى والأرحام.

١٠-أثبتت الدراسة الميدانية أن حالات الجيلين الأول والثاني قد نجحت بشكل واضح في إعادة انتاج دورة رأس المال المكاني، حيث النجاح في الاتصال بالمجتمع مع المجتمع المحلي وبناء مؤسسات وروابط تعزز ذلك الاتصال، علاوة على تلبية وإشباع احتياجاتهم، بما يزيد الارتباط بالمكان وعدم التفكير في مغادرته، أما فيما يتعلق بحالات الجيل الثالث فإنها قد واجهت مشكلات رئيسية، حيث عجزت شبكة التحديث عن تمكينهم من تبوء مواقع مهمة في المكانة الاجتماعية والوظيفية، الأمر الذي قلص من قدرتهم على اشباع وتلبية احتياجاتهم، ومن ثم ضعف دورة رأس المال المكاني لديهم، وصارت الرغبة في الهجرة والانتقال إلى مكان آخر واضحة في استجاباتهم.

١١-وكان من بين الصور وعوامل رأس المال المكاني التي تحققت لدى نوبيي السويس –متمثلًا في- نجاح شبكات المهاجرين في بناء قواعد الاستقبال وجلب المهاجرين الجدد من ذوي القربى والأرحام، والانتماء إلى القرية الواحدة، حيث عمل ذلك التوافد على زيادة قوة شبكة المهاجرين من حيث قوتها الفنية وتوسع شبكة علاقاتها الاجتماعية وبالتالي تأثيرها في المجتمع المحلي، إلا أن

شبكة جلب المهاجرين في حالة الجيل الثالث تكاد تكون توقفت تمامًا عن العمل، باستثناء حالات محدودة تجلبها شبكة المصاهرة والنسب، الأمر الذي قلص من دورة رأس المال المكاني لدى حالات الجيل الثالث مقارنه بالجيلين الأول والثاني.

١٢-ومن العوامل المهمة التي تضاف إلى رأس المال المكاني، تأتي عملية القرب من القاهرة باعتبارها مصدرًا مميزًا لأهمية الإقامة بالسويس، وهذا ما كان واضحًا لدى جميع حالات الدراسة التي فضلت الإقامة في السويس بسبب قربها المكاني من القاهرة، حيث القدرة على إشباع وتلبية المطالب الملحة التي لا يمكن إشباعها بعيدًا عن القاهرة، ومن ثم فإن رأس المال المكاني للسويس يرتبط بالقرب من القاهرة، حيث توفر الخدمات الاجتماعية والصحية علاوة على فرص العمل والدخل الملائم.

١٣-يرتبط الترويح عن النفس بالاندماج الثقافي في المجتمع المحلي، فكلما كانت ممارسة الترويح وقضاء أوقات الفراغ تتم بشكل منتظم خارج المنزل، عبر ذلك عن القبول والاندماج الثقافي في المدينة.

١٤-يمنح طول الاقامة وتعدد الأجيال المقيمة بالسويس قوة إلى الهوية المكانية لنوبيي السويس، حيث إن قِدم الشبكة القرابية وطول إقامتها في السويس أثر بشكل كبير في قوة هويتها المكانية.

١٤-تختلف معايير الحديث عن الانتماء الإثني والاجتماعي لنوبي السويس، من حيث طبيعة الخطاب والجمهور المتلقي، فعند الحديث مع المجتمع المحلي من مواطني السويس تتسع دائرة الانتماء والهوية لتصل إلى أقصاها، حيث الانتماء النوبي أو التعبير بأنه نوبي الهوية والجذور والثقافة، وتضييق تلك الدائرة فيما بين نوبيي السويس وبعضهم البعض، حيث يعرفون بعضهم البعض لتضييق تلك الدوائر حتى تصل إلى أضيقها. فمنهم من يفتخر بإثنيته الفرعية التي تعتبر هي السائدة والمسيطرة على المجتمع النوبي بالسويس، ومنهم من يفخر بهويته القروية الأصلية سواء كانت أبوهور أو مرواو وهما القريتان المهيمنتان على نوبيي السويس.

١٥-أكدت الدراسة الميدانية أنه بالرغم من أن نوبيي السويس يرتبطون بصور الحياة في النوبة القديمة، وكذلك القيم والعادات والتقاليد الأصيلة بها، علاوة على الفخر الإثني والاعتزاز بالثقافة والحضارة النوبية، إلا أن تلك المتغيرات جميعها لا تمثل دافعًا لأي منهم لمغادرة السويس والعودة إلى الاستقرار في النوبة، فالعمل (شبكة التحديث) والزواج (شبكة المصاهرة والنسب) هما أبرز وأقوى ما يدفع الناس إلى مغادرة مجتمعاتهم والاستقرار في مجتمعات أخرى، واذا كانت حالات الجيل الأول والثاني لديها خيارات محدودة في هذا الأمر، فإن حالات الجيل الثالث تنتج خياراتها

لتصل إلى مجرد التفكير في فرص التحديث الأفضل بصرف النظر عن توفر شبكة قرابية أو عائلية داعمة ذات أصول قوية ترتبط بمجتمع الجذور.

السؤال الرابع: ما دور شبكات الهجرة في تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي؟

١-اثبتت الدراسة الميدانية أنه كان لشبكة التحديث دورًا هامًا في تطبيع العديد من العادات والتقاليد، لتتناسب مع العديد من العادات والتقاليد النوبية، وتتناسب مع ظروف المجتمع المحلي وكيفية ممارستها فيه، ومن تلك العادات والتقاليد كانت معايير الاختيار للزواج، فقد خضعت لتغير كبير، حيث أثرت فيها شبكة التحديث بشكل واضح، ولم يعد الاختيار عند العديد من الحالات يقوم على القرابة والتشابه الإثني، بل صار مرتبطًا بالكفاءة والتقارب المهني والتعليمي، إلا أنه في نفس الوقت فإن استمرار حضور العادات والتقاليد النوبية في تحديد معايير الاختيار للزواج قد استمرت عند العديد من الحالات من مختلف الأجيال، وإن لم تكن بنفس الدرجة من الحتمية والحسم، حيث صار من المألوف أن تكون الانثى في حِل من أمرها وبشكل يفوق حرية الذكر وقدرته على اتخاذ القرار في هذا الشأن، وكان ذلك واضح لدى حالات الجيل الثالث التي تمتعت فيها الأنثى بهامش واضح من القدرة على الاختيار.

٢-واذا كانت الجماعة النوبية في السويس قد اصطحبت معها تراثها اللامادي خاصة فيما يتعلق بعادات وتقاليد المناسبات الاجتماعية، إلا أنها في نفس الوقت قد عملت على تطبيع تلك العادات والتقاليد لتناسب ظروف المجتمع المحلي، وتقبله لتلك الممارسات وعدم استهجانه لها، على سبيل المثال فقد توقف نوبيي السويس من مختلف الأجيال عن ممارسة العديد من الفنون والصور الشعبية المعتادة في النوبة القديمة، مثل ارتداء الأزياء والملابس النوبية التقليدية سواء الذكور أو الإناث في الحياة اليومية، علاوة على التوقف عن ممارسة بعض الفنون المعتادة في مناسبات حفلات الزفاف، مثل وصلة فن الكف التي كانت تميل إلى الاحتشاد والتجمع في حلقات ودوائر بشرية من الذكور بشكل أساسي، من أجل إحداث جلبة وأصوات مرتفعة تبتهج بتلك المناسبات، حيث لم يعد ملائمًا ممارسة ذلك الفن –قائمًا- في مجتمع السويس، ومن ثم توقف نوبيي السويس عن ممارسة تلك الفنون، والقيام بتشغيل مكبرات الصوت (دي جي) الذي يقوم بعرض أغاني صوتية ملائمة وغالبًا ما تكون تلك الأغاني نوبية.

٣-أثبتت الدراسة الميدانية أن شبكة المؤسسات والروابط النوبية كان لها حضورًا هامًا في تنظيم ممارسات العادات والتقاليد الجمعية خاصة تلك المرتبطة بالمناسبات الاجتماعية، حيث فتح

النادي النوبي أبوابه لاجتماع الأُسر والأصدقاء من نوبيي السويس كي يتمكنوا من ممارسة العادات والتقاليد الجمعية، مثل حفلات السبوع وأعياد الميلاد والزواج والعزاء، وكان واضحًا اهتمام نوبيي السويس بالحضور الكثيف إلى تلك المناسبات، بل كان تنظيم ذلك الحضور مشابهًا لذلك التنظيم الذي كان سائدًا في القرية النوبية القديمة، حيث كان هناك الفصل الواضح بين الذكور والإناث، وكان ذلك من أبرز ما حرصت عليه الجماعة النوبية الكنزية في أداء عاداتها وتقاليدها، غير أن تلك المناسبات الاجتماعية وإن كانت تحمل صفة الماضي والاعتزاز والفخر به، إلا أنها كانت تمارس بطريقة حضرية واضحة، بدون أن يشعر المرء أنها عادات وتقاليد تراثية، ومن هنا يمكن أن نفهم الدور الذي لعبته شبكة وقيم التحديث في تطبيع العادات والتقاليد النوبية.

٤-أثبتت الدراسة الميدانية أن العديد من العادات والتقاليد النوبية قد تأثرت إلى حد كبير بالتحولات الاقتصادية (شبكه التحديث)، حيث صار العديد من تلك العادات يُمَارس وفقًا لضرورات المعيشة الاقتصادية في المدينة، علاوة على صعوبة تنفيذها في الواقع كما كان يجري في النوبة القديمة، مثل الاحتفال بالميلاد بتغطيس الطفل في نهر النيل، فلم تعد تلك العادة تتم في السويس وتم استبدالها باحتفال جمعي قد يجري في النادي النوبي أو منزل داخل الأسرة. وكان ذلك واضحًا لدى مختلف الأجيال النوبية بما فيها الجيل الأول الذي انتقل مبكرًا إلى السويس.

٥-لعبت الشبكة القرابية والقروية، وشبكة المصاهرة والنسب دورًا هامًا في حرص نوبيي السويس على العديد من العادات والتقاليد التراثية والتي توضح حجم الترابط والتضامن الجمعي داخل الجماعة النوبية، ويأتي على رأس تلك العادات عادة كتابه قائمة الزواج بمبالغ مالية أو مشغولات ذهبية على العريس، علاوة على صعوبة حدوث الطلاق في الجماعة النوبية، فليس وارد في تصورهم —إلا حالات محدودة للغاية- أن تطلب الزوجة الطلاق، أو أن يُطلِّق الزوج زوجته، ومن ثم فليس هناك حاجة ماسة لدى والد العروس تدفعه إلى كتابة قائمة على الزوج، ومن هنا يمكن القول أن نوبيي السويس قد نجحوا في الجمع بين التمسك بالعادات والتقاليد الأساسية التي تمس الأسرة واستقرارها، علاوة على الاستخدام الاقتصادي للعادات التي لا تؤثر على مستقبل الأسرة وتضامن الجماعة النوبية.

٦-ثبت من الدراسة الراهنة ضعف معرفة كل من الإناث، والنوبيين الوافدين حديثًا، علاوة على شباب الجيل الثالث، بمكانة الطريقة الصوفية (المرغنية الختمية) في الجماعة النوبية الكنزية بالسويس، فبالرغم من أن أصحاب تلك الحالات تعود جذورهم إلى أبوهور النوبية، إلا أنهم لا

يمتلكون معرفة واضحة أو اهتمامًا معينًا بالطريقة المرغنية الختمية ذات المكانة المرموقة لدى حالات الجيل الأول.

٧-تعتبر شبكة المصاهرة والنسب من الشبكات الهامة لدى نوبيي السويس، ولا يرغب أي نوبيي ممن تمت مقابلتهم الخروج عن معايير تلك الشبكة، حيث تمثل رصيدًا اجتماعيًا هامًا ومن ثم كان أغلب حالات الدراسة يفضلون الزواج من نوبي أو نوبية، حيث يتمثل وجود الأصهار دافعًا قويًا للبقاء بالمكان خاصة لحالات الوافدين الجدد إلى السويس. ومن الأمور الملفتة للنظر هو ما أكتشفه الباحثان من إحدى حالات الدراسة، وبالتحديد من الجيل الأول والذي كان متزوجًا من سيدة من إثنية الفاديج، وهو أمر نادر بين حالات الجيل الأول، ويدل على الانفتاح الثقافي، والقدرة على تقبل التغيرات الاجتماعية والثقافية بسرعة، حيث فلم ممكنًا أن يتم الزواج خارج الجماعة الإثنية أو القرابية، إلا أن صاحب تلك الحالة وهو طبيب قد نجح في تجاوز تلك القواعد والاختيار للزواج بطريقه مختلفة. ولاحظ الباحثان ارتباط زواج العديد من نوبيي السويس من جماعة الكنوز بمصاهرة جماعة الفاديج -وإن كانت تلك الحالات محدودة وليست عامة- وفي نفس الوقت لا يتم الاعتراف بشكل تام بانتماء أولئك النوبيين الذين اكتسبوا الهوية النوبية بالإقامة في قرى العرب من المناطق النوبية.

٨-عملت الإقامة في السويس على التأثير والتغيير في العديد من العادات والتقاليد النوبية، وعلى رأسها الاختيار للزواج، حيث كان لشبكة التحديث دورًا هامًا في تغيير النظرة الاجتماعية والثقافية لعملية الاختيار للزواج، حيث شهدنا أن ثمة تباينًا في تلك العملية وفقًا للنوع والمستوى التعليمي والاجتماعي والمهني في حالات الذكور، وثمة اتجاهًا إلى الاختيار من داخل الجماعة النوبية خاصةً الذكر الأول أو الابن الأكبر. ولاحظ الباحثان أن الاختيار للزواج به بعضًا من التباين وفقا للنوع، حيث أن حالات الذكور على اختلاف وتنوع الأجيال تميل إلى الاختيار للزواج من داخل الجماعة النوبية، بينما حالات الإناث فإن الأعلى والأفضل تعليمًا منهن يتجهن إلى الزواج من خارج الجماعة النوبية.

٩-ثبت من الدراسة الراهنة أنه بالرغم من ضعف الارتباط العضوي بين حالات الجيل الثالث وشبكات الهجرة، فإن مسألة الاختيار للزواج تعتبر من القضايا الاجتماعية التي نجحت فيها الشبكات -القرابية والقروية والمصاهرة والنسب- في ضبطها وإلزام الجيل الثالث بالالتزام بمعايير الاختيار من داخل الجماعة النوبية، ويمكن القول أن هذا الالتزام المعياري يعد الاستثناء الذي

نجحت فيه شبكات الهجرة في التأثير على حالات الجيل الثالث وتوجيه أفعالها وخياراتها الاجتماعية.

١٠-أكدت الدراسة الميدانية أن نوبيي السويس يعملون على التمسك بعاداتهم وتقاليدهم الأصيلة التي حملها الآباء والأجداد من النوبة القديمة ولكن بما يتوافق مع نمط المعيشة والحياة في المدينة وظروف عملهم، فلم تعد تلك العادات والتقاليد تُمَارس بنفس النمط الذي كانت تمارس به في النوبة القديمة، وإن كانوا يحافظون على إحيائها عبر التجمع في النادي النوبي، أو بين الأهل والأقارب في المناسبات التي تستدعي ذلك مثل السبوع والزواج والعزاء، وتقوم شبكة المؤسسات والروابط النوبية باعتماد العديد من السياسات والإجراءات التي تنجح في زيادة معدلات الاندماج الثقافي لنوبيي السويس، وذلك عبر تقديم المساعدات المادية والعينية للمحتاجين وطالبي الدعم من أبناء المجتمع المحلي في السويس من النوبيين وغير النوبيين، وكذلك عبر فتح أبواب تلك المؤسسات لأبناء المجتمع المحلي على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم فيقوموا بالأنشطة التي تناسب احتياجاتهم ومهاراتهم.

١١-ثبت من الدراسة الراهنة أن طبيعة السكن بالمدينة لا تعزل مكونات الجماعة النوبية عن بقية مكونات المجتمع، حيث لا توجد آليات لفرز السكان أو تنميط الأحياء بصفة إثنية أو قبلية، الأمر الذي شجع بشكل كبير على الانفتاح والاندماج الثقافي مع المجتمع المحلي، بعكس الاقامة في مجتمعات اثنية مغلقة.

١٢-أكدت الدراسة الميدانية أنه بالرغم من اعتزاز نوبيي السويس بحضارتهم حيال أجدادهم في النوبة القديمة، إلا أنهم لا يمارسون ذات العادات والتقاليد التي كانت تُمَارس في النوبة القديمة، حيث عملت شبكة التحديث على أن تكون لهم عادات اقتصادية في التعامل مع إحياء العادات والتقاليد النوبية القديمة، خاصة فيما يخص الميلاد والزواج والوفاة، الأمر الذي يتناسب مع ثقافة الحياة في المدينة المتنوعة الانتماءات والأطياف الاجتماعية، وبما يلبي احتياجات الجماعة النوبية في حياتها الجديدة من حيث مراعاة الظروف الاقتصادية والوظيفية.

١٣-أثبتت الدراسة الميدانية أن الشبكات الاجتماعية لنوبيي السويس لم تنجح في الحفاظ على العادات النوبية الأصيلة بشكل كامل، حيث تأثرت ممارسة تلك العادات والتقاليد بشبكة التحديث والحياة العصرية لمدينة السويس، فمدينة السويس ليست كالقرية النوبية، حيثما كان من الصعب الاستمرار في الاحتفاء بالعادات والتقاليد النوبية كما كان يجري في النوبة مجتمع الجذور،

حتى أن حضور تلك العادات والتقاليد في الميلاد والزواج والعزاء وغيرها صار يُمَارس على أضيق نطاق.

١٤-كشفت الدراسة الميدانية عن إدراك حالات الدراسة على اختلاف أجيالها أهمية ومكانة العادات والتقاليد الأصيلة، إلا أنها في نفس الوقت تدرك أن للمدينة نمط ثقافي مختلف ينبغي التكيف معه وعدم انتهاك قواعده، وهو الأمر الذي دفع بعض الحالات إلى رفض بعض العادات والتقاليد النوبية التي يعتبرونها غير ملائمة لهم ولثقافتهم الحضارية مثل الأزياء والملابس النوبية التقليدية.

١٥-أكدت الدراسة الميدانية أن ممارسة العادات والتقاليد النوبية في السويس تختلف عنها في النوبة بأسوان، ففي مناسبات الزواج والوفاة ثمة تقاليد معينة، وإن كانت تُمَارس في السويس بطريقة حضرية ومختلفة كما يجري في النوبة، حيث تصطبغ تلك العادات بالصبغة الحضرية، وتتأثر بها وتتجه إلى الاقتصاد في أدائها، وتصبح العادات والتقاليد اقتصادية ومناسبة للحياة الحضرية.

١٦-أثبتت الدراسة الميدانية أن عملية تطبيع العادات والتقاليد لنوبيي السويس، قد تواجه بحالة من الاغتراب الثقافي، حيث تتفكك عملية الاندماج وتصبح قاصرة على مكون واحد من دون النظر إلى المكون الأساسي لمجتمع الجذور وثقافته، وكان واضحًا حضور معاني الاغتراب الثقافي للعديد من شباب الجيل الثالث لنوبيي السويس.

السؤال الخامس: هل توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متغيري الدراسة (شبكات الهجرة والاندماج الثقافي) والخصائص الاجتماعية لعينة الدراسة؟

١-ثَبُتَ من التحليلات الاحصائية للبيانات عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين كل من الحالة التعليمية والتفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي، حيث أظهرت البيانات الاحصائية أن هناك فروق بين كل من الحالة الجيلية والحالة المهنية والحالة الزواجية والتفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي.

٢-ثَبُتَ من التحليلات الاحصائية للبيانات عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين كل من الحالة الزواجية والحالة التعليمية والحالة المهنية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس، حيث أظهرت البيانات الاحصائية أن هناك فروق بين كل من الحالة الجيلية والاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس.

٣-ثَبُتَ من التحليلات الاحصائية للبيانات عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين كل من الحالة الزواجية والحالة التعليمية والحالة المهنية والاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس، حيث

أظهرت البيانات الاحصائية أن هناك فروق بين كل من الحالة الجيلية والاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس.

٤-ثَبُتَ من التحليلات الاحصائية للبيانات عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين كل من الحالة الجيلية والحالة الزواجية والحالة المهنية وتطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي، حيث أظهرت البيانات الاحصائية أن هناك فروق بين كل من الحالة التعليمية وتطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي.

رابعًا: خاتمة

١-ترتبط كل شبكات المهاجرين النوبيين بالسويس بمسألة الهوية، حيث تعمل كل شبكة منها على تحديد علاقة نوبيي السويس بهويتهم، وتأتي اللغة في مقدمة عناصر ومكونات تلك الهوية.

٢- ثَبُتَ من الدراسة الميدانية أن حالات الجيل الأول، والتي كانت أكثر اندماجًا في الحياة الاجتماعية والثقافية في السويس، كانت أكثر قدرة على التفاوض على بعض ملامح الهوية مثل اللغة وممارسة بعض العادات والتقاليد.

٣-أتفقت أجيال نوبيي السويس على الارتباط بشبكات التحديث، والإقامة في المدينة وعدم الرغبة في مغادرتها، إلا أنهم في نفس الوقت قد فقدوا العديد من ملامح جذورهم وهويتهم التاريخية، وعلى رأس تلك الملامح كانت اللغة النوبية الكنزية.

٤- ثَبُتَ من الدراسة الميدانية الدور الذي تلعبه كثافة الشبكة العائلية والقروية في تحقيق الاندماج الثقافي.

٥-كان واضحًا من نتائج حالات الدراسة أن ثمة انقطاعًا وتوقفًا في عمليات نقل المعلومات الثقافية بين الأجيال خاصة اللغة النوبية الكنزية والتواصل مع مجتمع الجذور.

٦-أكدت الدراسة الميدانية أن الأجيال الثلاثة جميعها تتفق على المطالبة بحق العودة، وذلك على الرغم من إقرار العديد منهم بصعوبة العودة الفعلية والاستقرار الدائم هناك.

٧-لعبت شبكة المؤسسات والروابط النوبية دورًا هامًا في تقنين الاعتراف بالهوية ونقله من المستوى الشخصي وغير الرسمي إلى المستوى المؤسسي.

٨- ثَبُتَ من الدراسة الميدانية أن ثمة علاقة واضحة بين المكان، وصور ودرجة الاعتراف بالهوية الثقافية.

٩- ثَبُتَ من الدراسة الراهنة انخفاض الاستجابات المعبرة عن التمييز والتنمر الاثني لدى حالات الإناث بشكل عام، وحالات الذكور التي حققت قدرًا معقولًا من الاندماج الاجتماعي والاقتصادي.

١٠-تتفق الجماعة النوبية بالسويس على عملية الانتقال من دوائر الهوية الأضيق إلى الأوسع فاذا كان الانتماء القرابي أو الإثني أو القروي هو المسيطر على التنظيم الاجتماعي والمؤسسي لنوبيي السويس، فإن الانتماء الاثني العام للجماعة النوبية على تنوع اثنياتها يُعَد حاسمًا.

١١-لعبت شبكة التحديث دورًا هامًا في بناء رأس المال المكاني، وتعزيز قوته، حيث استفادت حالات الجيلين الاول والثاني من الفرص الاجتماعية والاقتصادية والتي كانت بمثابة حراك اجتماعي كبير مقارنة بالإقامة في مجتمع الجذور، بينما كان ضَعف الفرص الاجتماعية والاقتصادية لحالات الجيل الثالث عاملًا في تدهور رأس المال المكاني لدى ذلك الجيل.

١٢- ثَبُتَ من الدراسة الميدانية عند المقارنة بين أجيال المهاجرين، أن الجيل الثالث المولود في السويس كان رأسماله المكاني مقتصرًا على تجربة التنشئة والحياة والتعليم في السويس.

١٣-يتأثر رأس المال المكاني بالفرص الاجتماعية والاقتصادية التي تتاح للفاعلين.

١٤-أثبتت الدراسة الميدانية أنه كان لشبكة التحديث دورًا هامًا في تطبيع العديد من العادات والتقاليد، لتتناسب مع العديد من العادات والتقاليد النوبية.

١٥-أثبتت الدراسة الميدانية أن شبكة المؤسسات والروابط النوبية كان لها حضورًا هامًا في تنظيم ممارسات العادات والتقاليد الجمعية خاصة تلك المرتبطة بالمناسبات الاجتماعية.

١٦-لعبت الشبكة القرابية والقروية، وشبكة المصاهرة والنسب دورًا هامًا في حرص نوبيي السويس على العديد من العادات والتقاليد التراثية والتي توضح حجم الترابط والتضامن الجمعي داخل الجماعة النوبية.

١٧-أثبتت الدراسة الميدانية أن عملية تطبيع العادات والتقاليد لنوبيي السويس، قد تواجه بحالة من الاغتراب الثقافي.

خامسًا: بعض المقترحات البحثية في ضوء نتائج الدراسة

١-لا تزال العديد من الدراسات الديموجرافية والسوسيولوجية تتعامل مع تيارات الهجرة وسلوكيات المهاجرين عن طريق عزلها عن الدوافع والقوى البنائية، وفي مقدمة تلك الدوافع يأتي دور شبكات الهجرة والتي تتجاوز المطالب والحاجات الاقتصادية، باعتبارها السبب الرئيسي الذي كانت تتعامل معه دراسات الهجرة في السابق، حيث يتجاوز الأمر مجرد الاشباع الاقتصادي إلى كون الهجرة

تمضي وفقًا لمتطلبات ومحددات شبكة الهجرة، ومن ثم نطالب كل باحثي الهجرة والمهتمين بها بضرورة الاهتمام بدور الشبكة الاجتماعية للهجرة في فهم وتفسير عملية وتيارات الهجرة.

٢-بناء على ما توصلت إليه الدراسة الراهنة من أهمية مسألة الشبكات الاجتماعية باعتبارها وحدات بنيوية فاعلة، حيث إنها لا تحظى بالاهتمام الكافي من جانب الباحثين في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، الأمر الذي قد يزيد من غموض الظاهرات الاجتماعية، ويحجب عن المشتغلين بالمعرفة السوسيولوجية والأنثربولوجية المزيد من الحقائق الاجتماعية للظاهرات التي يتم تناولها في علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، ومن ثم فلابد لأي بحث سوسيولوجي أو أنثروبولوجي أن يتناول الشبكة الاجتماعية عند دراسته للظاهرة الاجتماعية التي يهتم بها.

قائمة المراجع

أولاً : المراجع العربية

١-المصيلحي، نجلاء محمود رؤوف السيد. (٢٠٢٢). تحديات الاندماج الثقافي للطفل: دراسة اجتماعية ميدانية على عينة من الأطفال النوبيين في محافظة أسوان. مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع (٢٠)، أبريل. ص ص ٩٤- ١٦٢.

٢-حليم، عائشة. (٢٠٢٢). النساء المهاجرات المتحدرات من أفريقيا جنوب الصحراء: مداخل الاندماج وتحدياته ممتهنات الحلاقة والتجارة بمدينة الرباط نموذجًا. المجلة الأفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية. ع(٢)، ٦٩-٨٩.

٣-سميث، شارلوت سيمور. (٢٠٠٩). موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية . ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع. المجلس الأعلى للثقافة. المركز القومي للترجمة. ط٢.

٤-عبد الكريم، هدى حسين محمد. (٢٠٢٢). الثقافة الفرعية في مناطق التوطين: بحيرة ناصر – بحيرة النوبة نموذجًا. مجلة جامعة أسوان للعلوم الإنسانية. المجلد الثاني ـ العدد الثاني. ص ص ١٨١- ١٩٢.

٥-عبدالباري، أسامة. (٢٠١١). الهوية الإثنية والصراع العرقي: دراسة حالة أمازيغ ليبيا. جامعة القاهرة. كلية الآداب. مركز البحوث والدراساسات الاجتماعية. ع: (٧). ١٤١-١٧٦.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1-Barglowski ,Karolina.(2018). Migrants' Class and Parenting: The Role of Cultural Capital in Migrants' Inequalities in Education. Journal of Ethnic and Migration Studies.

2-Bhugra, and et.al.(2021). Cultural Capital and Acculturation in Migrants , Springer Science Business. Media Singapore. Ltd.

3-Bhugra, Dinesh and et.al. (2021). Cultural Capital and Acculturation in Migrants . Springer Science Business. Media Singapore. Ltd.

4-Blumenstock, Joshua and Tan, Berkeley Xu.(2016). Social Networks and Migration: Theory and Evidence from Rwanda. economics papers.ucr.edu. University of California, Berkeley. December.

5-Erel, Umut.(2010). migrating Cultural Capital: Bourdieu in Migration Studies. sociology journal. Sagepub. vol (44), No (4).

6-Freeman, Linton C. (2004).The Development of Social Network Analysis. A Study in the Sociology of Science. Empirical Press Vancouver. BC Canada.

7-Jacob, L. M. (2020). Acculturation. *Salem Press Encyclopedia*.

8-Jiansha Lu , Zhan and Solvang, Wei Deng. (2012). An Empirical Study on the Impact of Cultural Types on Resources Integration Model. Journal of Service Science and Management. vol (5).

9-Kessler, Leah. (2023) Cultural Integration | Definition, Importance & Examples, See in: 1 March, 2023 <**https://study.com/academy/lesson/cultural integratio-definitionexamples.html#:~:text=Cultural%20Integration%20happens%20when%20people,melt%2C%20or%20fuse%2C%20together**>.

10-Maness, Michael . (2017). A Theory of Strong Ties. Weak Ties. and Activity Behavior: Leisure Activity Variety and Frequency. Transportation Research Record Journal of the Transportation Research Board · January .

11-Ning Li , et al. (2021). A Review of the Research Progress of Social Network Structure. journal of Complexity. wily publishers.

12-Ognyanova, Katherine. (2022). Social Network Analysis. In A. Ceron (Ed.). Encyclopedia of Technology and Politics. Edward Elgar Publishing.

13-Olekanma, Obafemi and Elezi, Enis.(2021). Cultural Integration: Implications for business leadership and service productivity in sub-Sahara Africa. BAM Conference. Lancaster university.

14-Pescosolido, Bernice A.(2007). the sociology of social network,. In C. D. Bryant, & D. L. Peck 21st century sociology (Vol. 2, pp. I-208-I-217). SAGE Publications, Inc.

15-Prinz, and et.al.(2019) Migration, cultural identity and diasporas: An identity economics approach. IZA Journal of Development and Migration. Vol. (10).

16-Rockenbauch,T. and Sakda polrak.(2017). Social networks and the resilience of rural communities in the Global South: a critical review and conceptual reflections., journal of Ecology and Society, Vol 1, No :10.

17-Sha, Heila. (2021). Migrant networks as social capital: the social infrastructure of migration. working paper on Migration for development and inequality. November.

18-Williams, Robin M. (1994). The sociology of ethnic conflicts: comparative international perspectives. annual review of sociology. Vol (20).

19-Yann, Algan and et.al. (2018). Introduction: Perspectives on Cultural Integration of Immigrants. Oxford University Press.. 22 Nov.

الملاحق

أولا: أدوات جمع البيانات

أ- استمارة استبيان

استمارة استبيان لدراسة موضوع

شبكات الهجرة والاندماج الثقافي: دراسة ميدانية على عينة من أجيال المهاجرين النوبيين بمحافظة السويس

لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي

أولاً : البيانات الأساسية

السن	(٢٥-٣٥) (٣٦-٦٠) (٦١- فأكثر)
النوع	ذكر -انثى
العمل	يعمل – لا يعمل
الحالة التعليمية	بدون– مؤهل متوسط – جامعي
الحالة الزواجية	أعزب- متزوج- مطلق- أرمل

ثانيا: مؤشرات الاندماج الثقافي

أ- التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي

١-المامك باللغة النوبية أ-ملم ب-غير ملم

٢-هل تحرص على أن تتعلم اللغة النوبية نعم لا

٣-هل تعتقد أن المؤسسات النوبية تساهم في تعزيز تعلم اللغة النوبية والحفاظ عليها نعم لا

ب- الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس

١-فيما يخص هويتك النوبية هل أنت فخور بها نعم لا

٢-هل تشعر بالتمييز القبلي في السويس نعم لا

٣-مدى شعورك بالاحترام والتقدير أثناء تعاملاتك الاجتماعية في السويس:

أ-أشعر بالاحترام والتقدير ب-لا أشعر بالاحترام والتقدير

٤-هل الأسرة النوبية في السويس مازالت تحافظ على هويتها النوبية نعم لا

٥-هل تحافظ على ملامح هويتك نعم لا

ج- الاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس

١-ما وجهة نظرك في مواطني السويس بوجه عام

أ-مسالمون ويتميزون بالهدوء ب-أنانيون وغير متعاونون ج-يميلون إلى العصبية والتمركز حول العائلة

٢-ما وجهة نظرك في نمط الحياة في السويس:

أ-متميزة وتقوم على الرفاهية ب-متوسطة وبها العديد من المشكلات ج- متدنية

٣-هل تشعر بالعزلة في السويس نعم لا

٤-هل تشعر بالغربة في السويس نعم لا

٥-هل تقوم برحلات ترفيهية لأسرتك نعم لا

في حال نعم داخل السويس خارج السويس

٦-هل تشعر بالود والتسامح مع المختلفين دينيا نعم لا

د- تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي

١-هل تهتم بالحفاظ على العادات والتقاليد النوبية في الأزياء نعم لا

٢-هل تهتم بالحفاظ على العادات والتقاليد النوبية في الاحتفال بميلاد الطفل نعم لا

٣-هل تهتم بالحفاظ على العادات والتقاليد النوبية في الزواج نعم لا

٤-أفضل أن يكون زواج ابني من نوبية نعم لا

٥-أفضل أن يكون زواج بنتي من نوبي نعم لا

٦-هل توافق على الزواج من غير النوبيين

٧-هل يحرص نوبيي السويس على الزواج من داخل الجماعة النوبية نعم لا

٨-هل تهتم بالحفاظ على العادات والتقاليد النوبية في العزاء نعم لا

٩-هل تحرص على سماع الأغاني: النوبية- غير النوبية - لا أستمع إلى أغاني

١٠-في نمط حياتك اليومية تميل للزوق العام: النوبي- غير النوبي- أجمع بين الاثنين

ب- دليل المقابلة

دليل المقابلة المتعمقة لدراسة موضوع

شبكات الهجرة والاندماج الثقافي: دراسة ميدانية على عينة من أجيال المهاجرين النوبيين بمحافظة السويس

لا تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي

أولاً : البيانات الأساسية

السن	(٢٥-٣٥) (٣٦-٦٠) (٦١- فأكثر)
النوع	ذكر- انثى
العمل	يعمل – لا يعمل
الحالة التعليمية	بدون– مؤهل متوسط – جامعي
الحالة الزواجية	أعزب- متزوج- مطلق- أرمل
تاريخ الانتقال الى السويس	
ظروف الانتقال	
الرابطة التي ينتمي إليها ودوره فيها (عضو- قيادي)	

أولا: الخصائص الاجتماعية (التاريخ الاجتماعي)

١-ظروف انتقال الأسرة (يصف المبحوث الظروف التي جعلته ينتقل إلى السويس مثل سفر الأب أولا ثم أتى بالأسرة ٢–من شجعوا وساعده للانتقال إلى السويس- مستوى الحصول على الخدمات في السويس(زي التعليم – الصحة) -الخدمات الشخصية : زي أماكن الترفيه.

ثانيا: مؤشرات الاندماج الثقافي

أ- التفاوض على الهوية باستخدام لغة المجتمع المحلي

مدى إلمامك باللغة واللهجة النوبية وما رأيك في مستقبلها- الحرص علي تعلمها أم أن هناك مشكلات في ذلك- فيما يخص مستقبل اللغة النوبية هل تعتقد أن المؤسسات النوبية تساهم في تعزيز تعلم اللغة النوبية والحفاظ عليها

ب- الاعتراف بهوية الجماعة الاثنية لنوبيي السويس

تحدث عن هويتك الإثنية أو القبلية وجذورها التاريخية- تحدث عن موقع إثنيتك(جماعتك النوبية) داخل السويس- مدى الاعتزاز بالجذور والانتماء الاثني- التصور عن معرفة المصريين للحضارة النوبية ومكانتها- المحافظة على ملامح الهوية من حيث (اللغة – الزواج من نوبي أو نوبية– الأغاني النوبية)

فيما يخص طبيعة وتركيب المجتمع السويسي كمجتمع تقليدي مدى مواجهة صورا من التمييز داخل هذا المجتمع.

ج- الاعتزاز برأس المال المكاني لنوبيي السويس

مدى شعورك بالاحترام والتقدير أثناء تعاملاتك الاجتماعية في السويس- وجهة نظرك في مواطني السويس بوجه عام ونمط الحياة فيها

د- تطبيع العادات والتقاليد بين نوبيي السويس والمجتمع المحلي

معايير اختيار الزوج –الزوجة لديك- اذا كان الاختيار من خارج الجماعة النوبية ما العوامل التي تشجع على هذا الزواج- مدى وجود نسايب وقرايب (لزوجك-زوجتك) في السويس- الاهتمام بالحفاظ على العادات والتقاليد النوبية في الأزياء وحفلات (الميلاد- الزواج – العزاء)

ج-دليل الملاحظة

دليل الملاحظة

شبكات الهجرة والاندماج الثقافي: دراسة ميدانية على عينة من أجيال المهاجرين النوبيين بمحافظة السويس

ملاحظة ومتابعة دقيقة لـــ -تردد الأعضاء على الروابط محل الدراسة- طبيعة العلاقات الاجتماعية وصور التفاعل الاجتماعي داخل الروابط الاجتماعية محل الدراسة- مراسم الاحتفال بميلاد الطفل، الزواج- عادات الوفاه- استخدام اللغة النوبية عند الأجيال الثلاث- نمط الملبس- مظاهر التزين- الموسيقى والأغاني- استخدامهم للتراث المادي النوبي في المسكن وفي المؤسسات النوبية

ثانيا: الرسوم البيانية

شكل (١-١) يوضح الفروق بين الأجيال فى التفاوض على الهوية باستخدام لغة

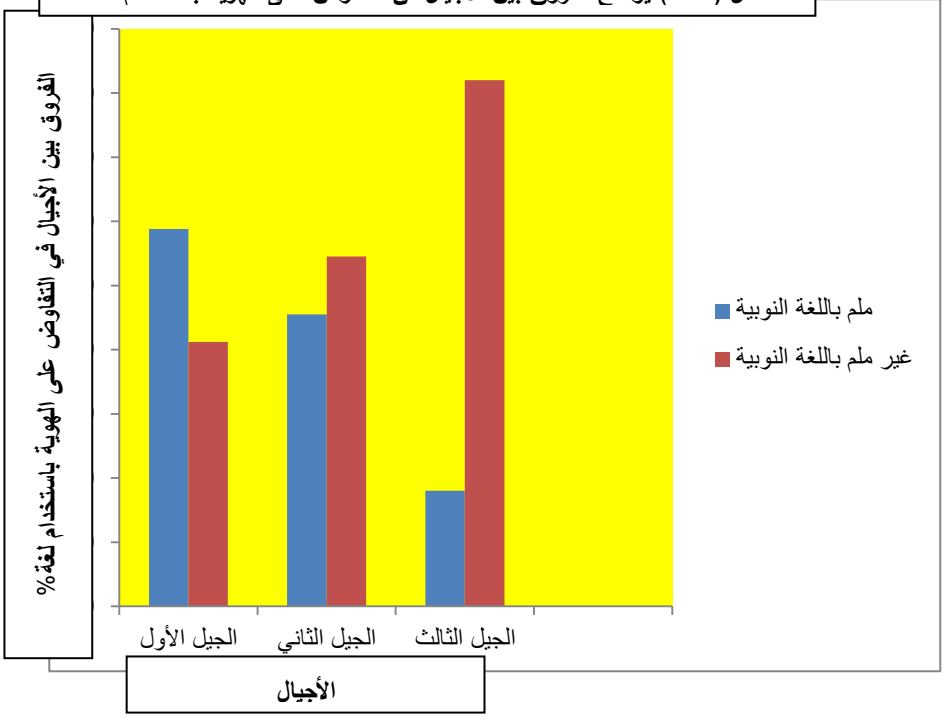

شكل (٢-١) يوضح الفروق بين النوع في التفاوض على الهوية باستخدام لغة

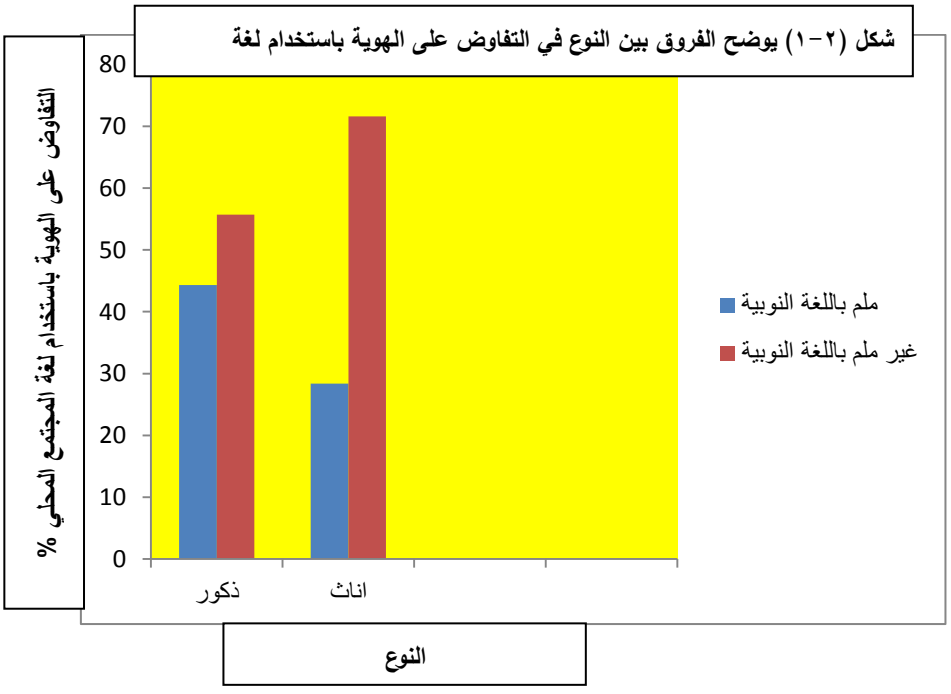

شكل (٣-١) يوضح الفروق بين الحالة المهنية في التفاوض على الهوية باستخدام لغة

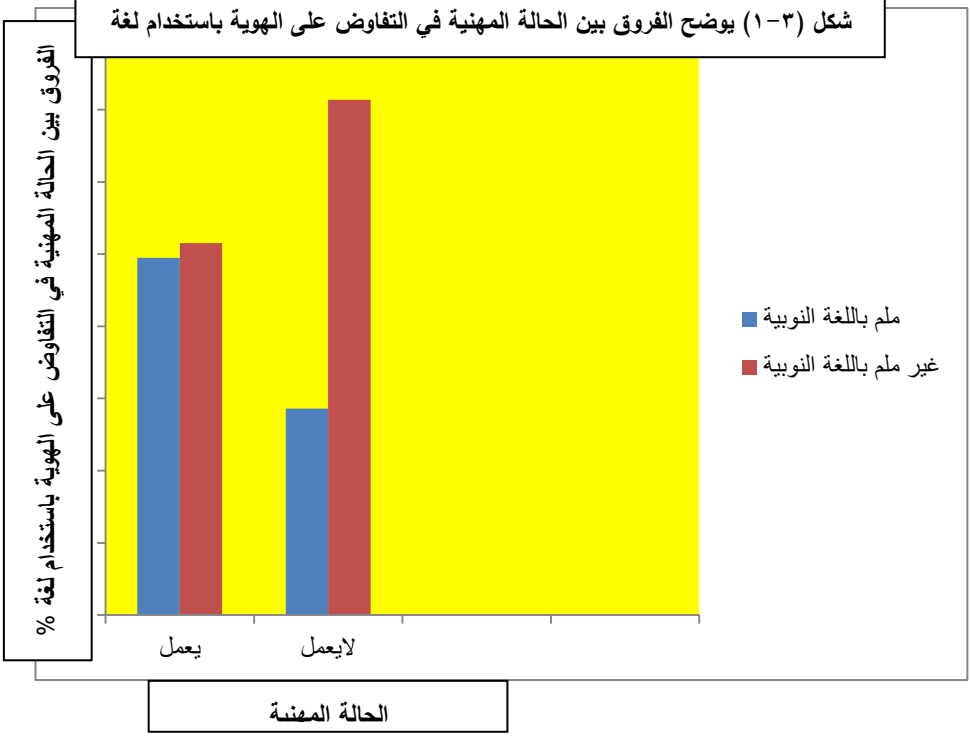

شكل (٤-١) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في التفاوض على الهوية باستخدام لغة

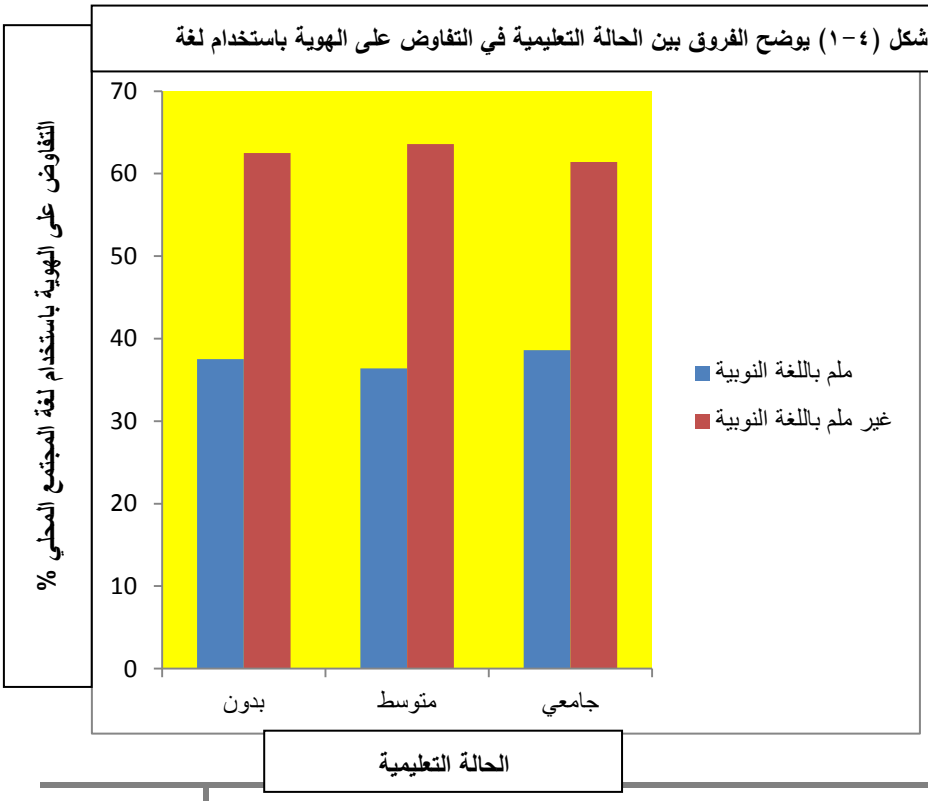

شكل (٥-١) يوضح الفروق بين الأجيال في الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس)

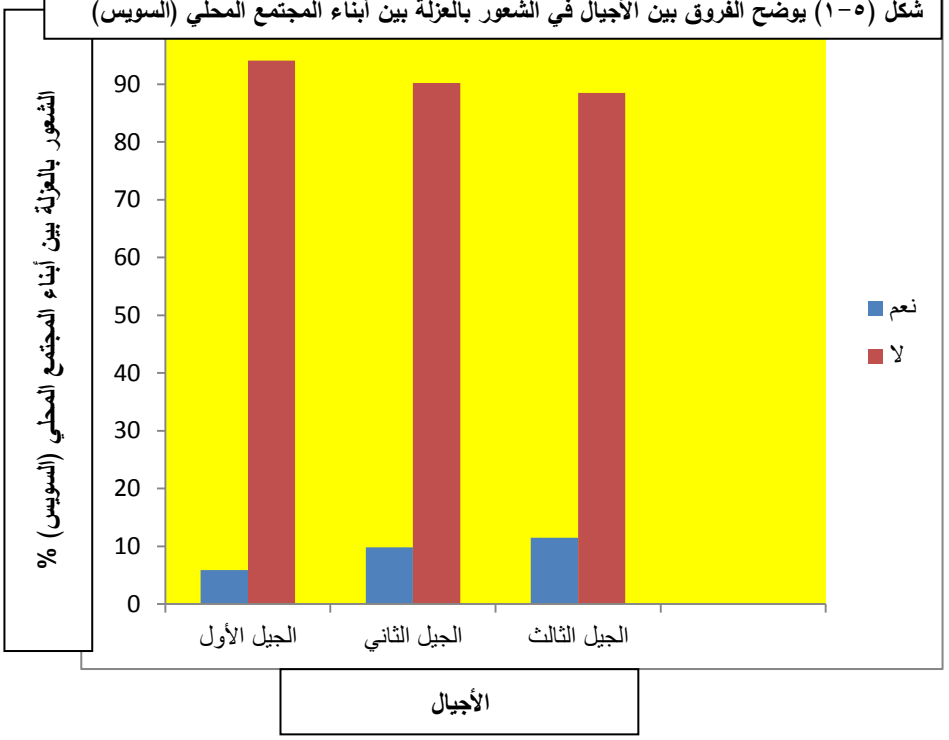

شكل (٦-١) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي

شكل (٧-١) يوضح الفروق في النوع في الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلي (السويس)

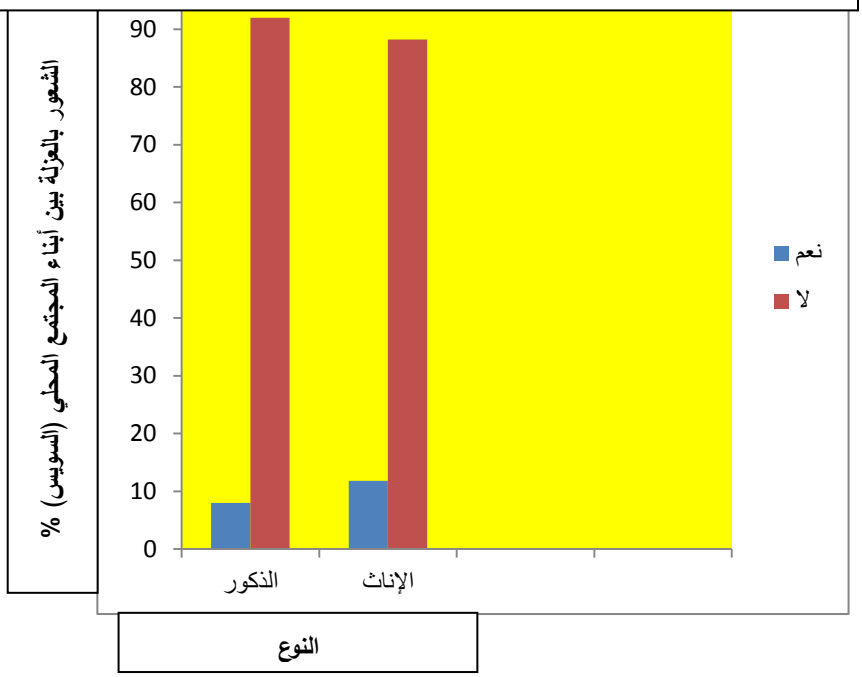

شكل (٨-١) يوضح الفروق بين الحالة المهنية فى الشعور بالعزلة بين أبناء المجتمع المحلى (السويس)

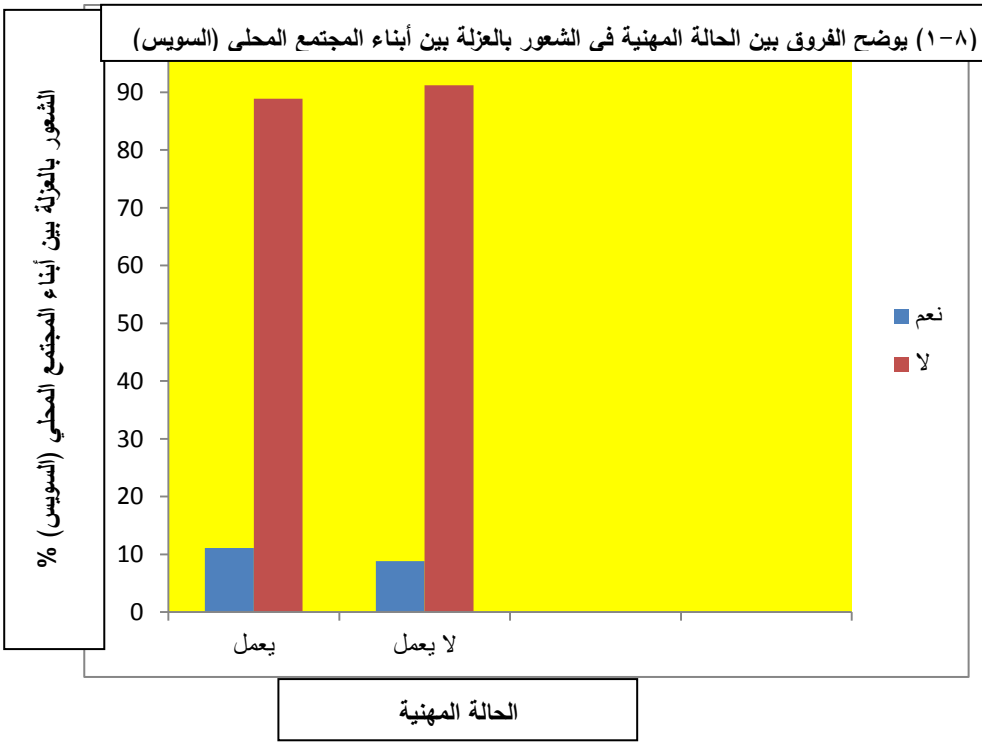

شكل (٩-١) يوضح الفروق بين الأجيال في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

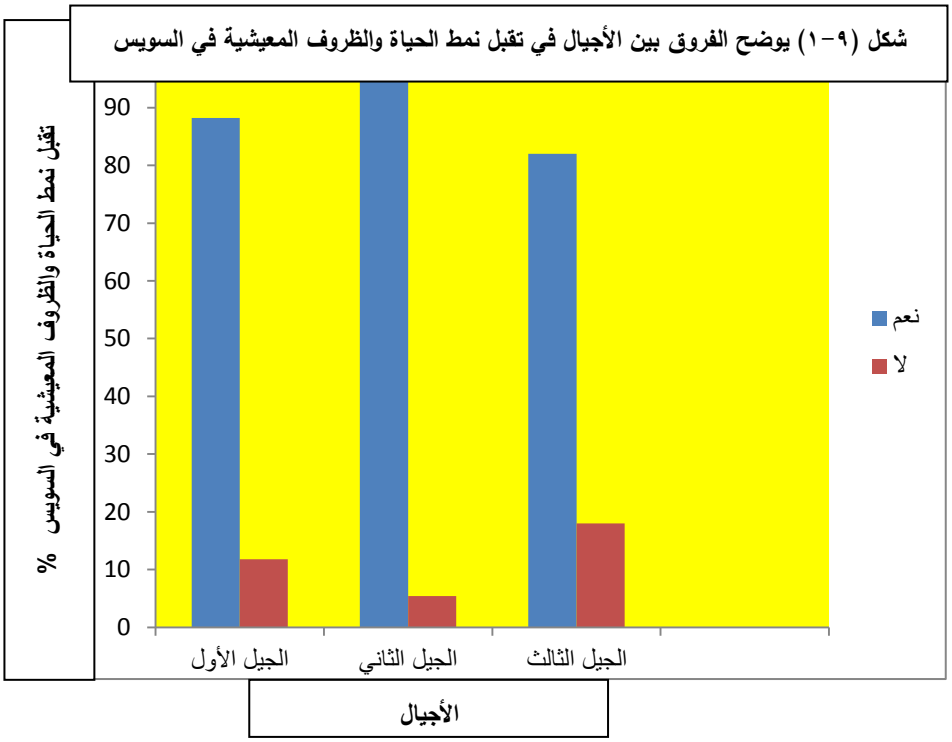

شكل (١٠-١) يوضح الفروق بين الحالة المهنية في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

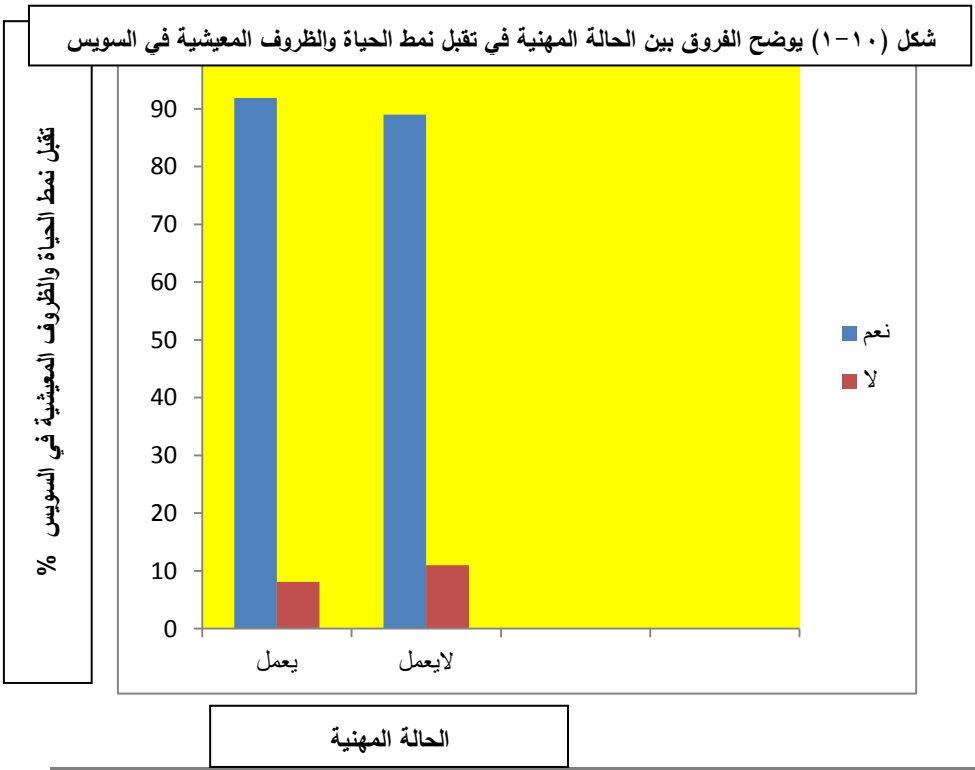

شكل (١١-١) يوضح الفروق في النوع في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

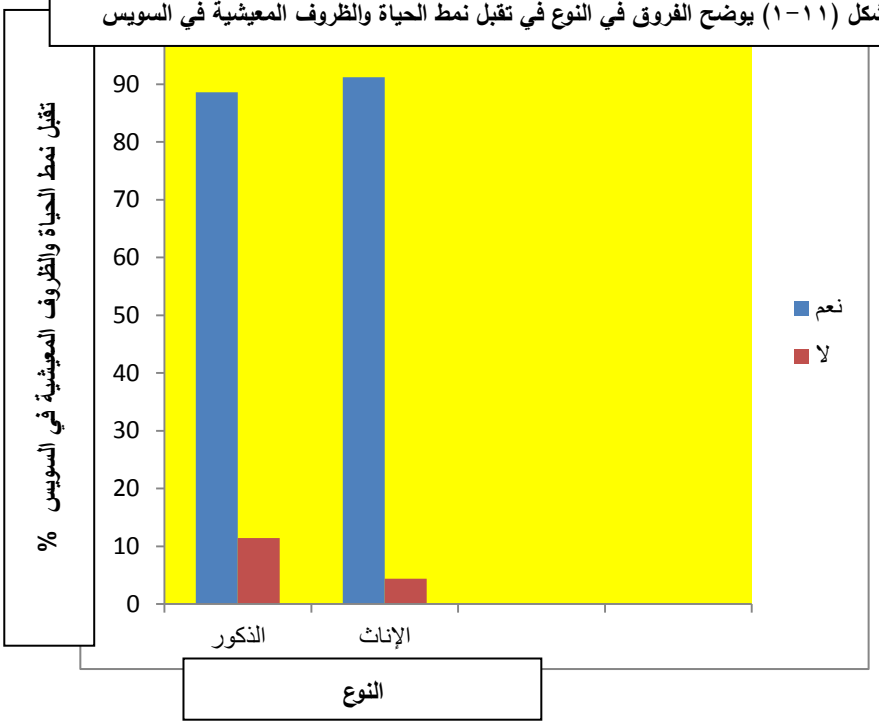

شكل (١٢-١) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في تقبل نمط الحياة والظروف المعيشية في السويس

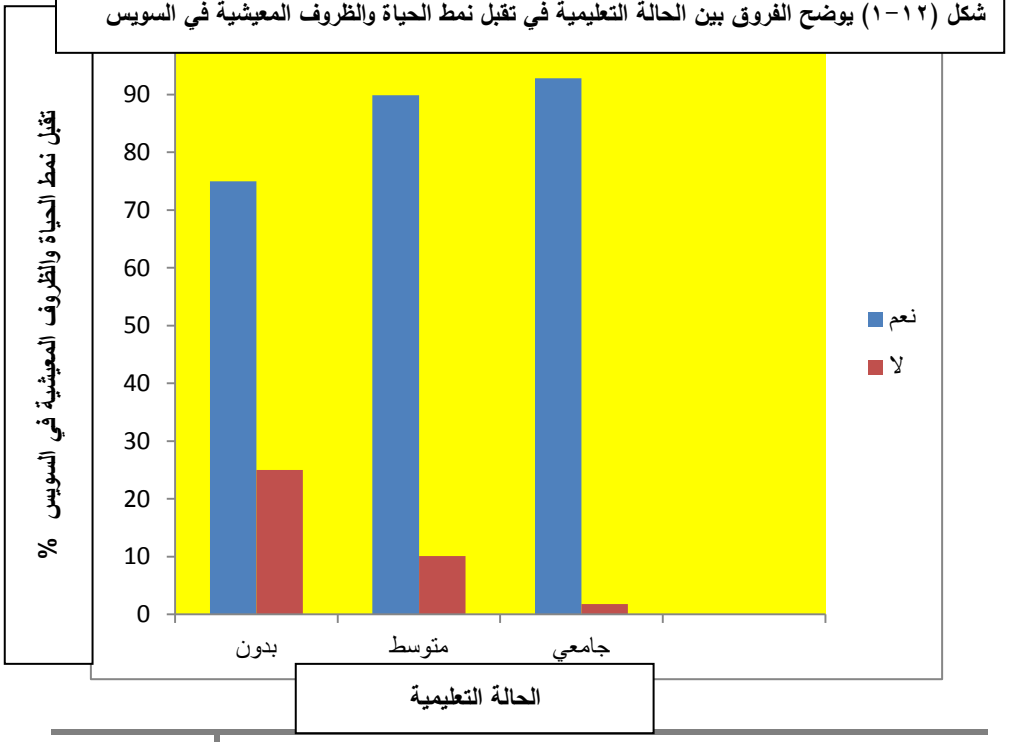

شكل (١٣-١) يوضح الفروق بين الأجيال في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة الدراسة

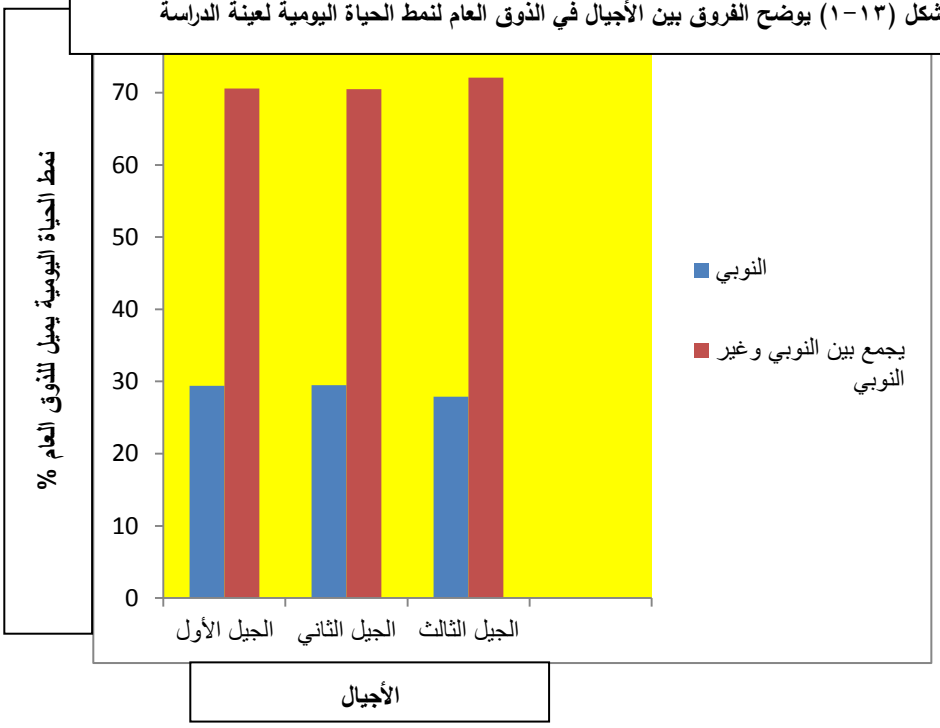

شكل ١٤-١) يوضح الفروق بين النوع في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة الدراسة

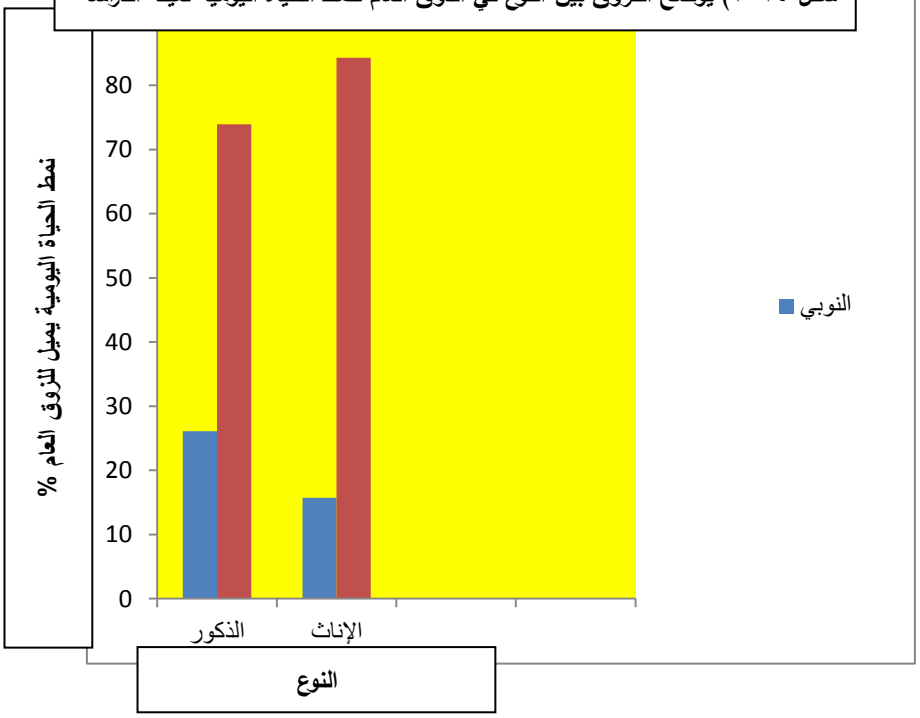

شكل (١٥-١) يوضح الفروق بين الحالة التعليمية في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة

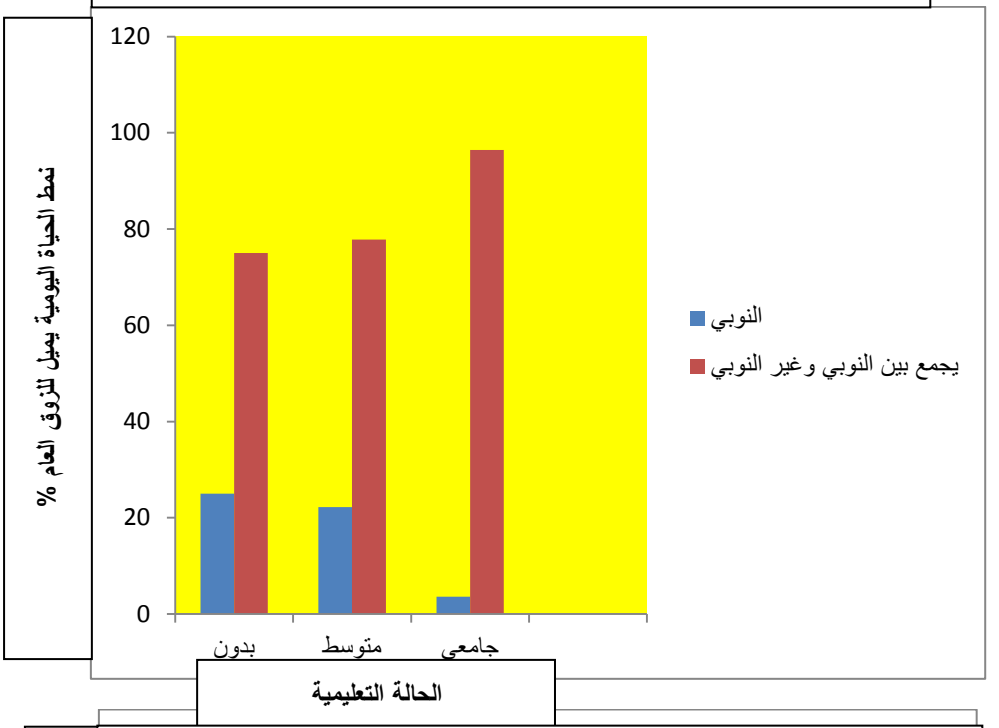

شكل (١٦-١) يوضح الفروق بين الحالة المهنية في الذوق العام لنمط الحياة اليومية لعينة الدراسة

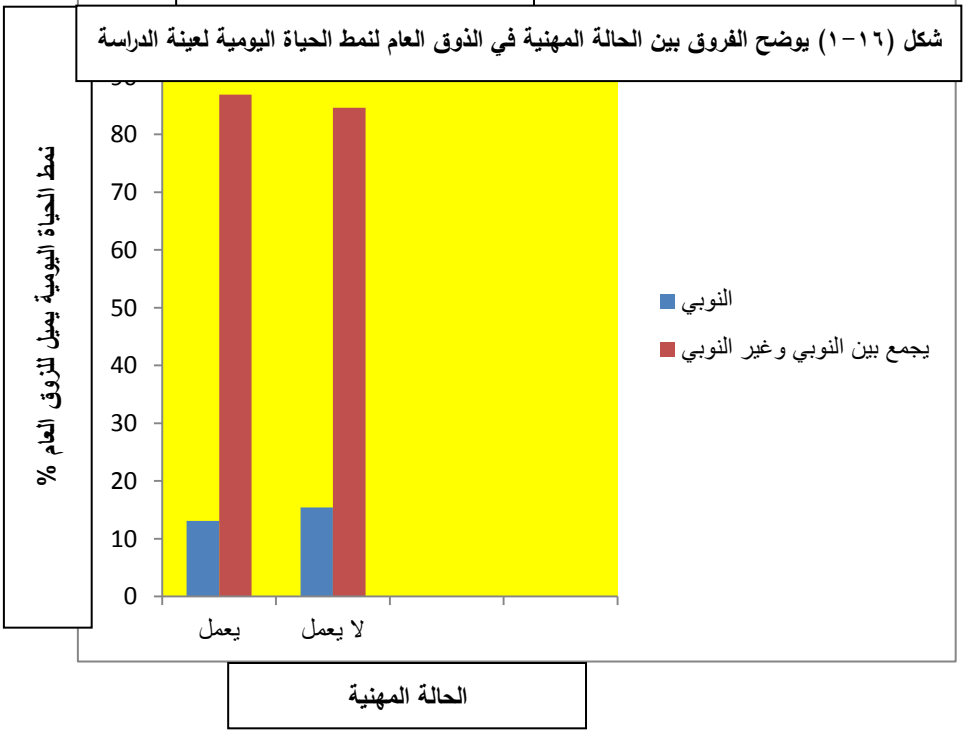

(*) ترتيب وأرقام المبحوثين في الجدول هو ذاته الذي ورد في متن تحليل البيانات الميدانية

(*) يوجد نموذج لاستمارة الاستبيان في ملاحق الدراسة.

(**) يوجد نموذج لدليل المقابلة المتعمقة في ملاحق الدراسة.

(***) يوجد نموذج لدليل الملاحظة في ملاحق الدراسة.

(*)غالبًا ما تستخدم حالات الدراسة مصطلح القبيلة بديلًا عن مصطلح العائلة أو الأسرة الممتدة وذلك للإشارة إلى الحجم الكبير والمتشابك للأسرة الممتدة. فهذه الكلمة –القبيلة– اكتسبت معنى عامًا ، وأصبحت مرادفة للجماعة الاجتماعية البدائية . ويستخدم المصطلح كجزء من مخطط تطوري للأنماط الاجتماعية ، تبناها العلماء على نطاق واسع في الأنثروبولوجيا الأمريكية ، وهو مخطط يضم – في تسلسل تصاعدي –كلا من : العصبة ، والقبيلة ، والكيان الرئاسي ، ثم الدولة . وكان مفهوم القبيلة أكثر مفاهيم ذلك المخطط تعرضًا للنقاش والجدل من كثيرين . وعندما يستخدم بهذا المعنى التطوري للدلالة على مستوى أو نمط من التنظيم الاجتماعي السياسي ، ثم يشير عمومًا إلى تجمعات يتكون كل واحد منها من أكثر من جماعة محلية ، يجمع بينها بعض السمات الثقافية المشتركة ، وشكل من أشكال القيادة السياسية والتنظيم السياسي على مستوى أعلى من المستوى المكاني(سميث، ٢٠٠٩: ٢٢٥، ٢٢٦).

(*) تختلف الفعاليات الثقافية عن الفعاليات الترفيهية، فالفعاليات الثقافية يقصد بها الندوات والمحاضرات والنشاطات التي تتحدث عن تاريخ وحضارة الثقافة النوبية ومكانة الهوية واللغة النوبية، أما الفعاليات الترفيهية فهي التي تحدث في الحفلات الغنائية والمعارض الفنية والصور الفوتوغرافية.

(*) يطلق النوبيين كلمة جوربتي على كل شخص غير نوبي.

(*) ويعني الباحثان بالتناقضات الاثنية عدم وجود إثنيات فرعية مخالفة لاثنية النوبيين الكنوز، علاوة على سيطرة قريتين فقط من قرى النوبة القديمة على نوبيي السويس وهما مرواو وأبوهور

(*) يتحدث صاحب تلك الحالة عن تجربة زواج ابنته منذ سبع سنوات